شاهد على العصر

محمود أمين العالم

الكتاب: شاهد على العصر/ محمود أمين العالم
المؤلف: بطيشة، عمر
النوع: برامج الإذاعة
تصميم الغلاف: جيهان متولي
إخـــراج داخلي: بثينة عزام
الطبعة: الأولى/ القاهرة ٢٠١١
عــدد الصفحات: ١٥٢صفحة
المقاس: ١٤×٢٠
تدمك:
١- برامج الإذاعة

صرح للنشر والتوزيع

المدير العام: عبود مصطفى عبود
كورنيش المعادي، بجوار مستشفى السلام الدولي، أبراج المهندسـين (أ) بـرج (٢) الدور العاشر.
ت: (٢٥٢٤٠١٦٦)(٢+)
البريد الإليكتروني: darsarh@gmail.com
الموقع الإليكتروني: www.dar-sarh.com
رقـم الإيداع: ٢٠١٠/١٩٨٣٧
الترقيم الدولي: 978-977-6382-42-8
ديوي٧٩١,٤٤

شاهد على العصر

محمود أمين العالم

مع

عمر بطيشة



مقدمة الناشر

التاريخ المصري مليء بالأسرار والخبايا، التي لم يكشف عنها أحدٌ حتى الآن؛ ولهذا أسباب كثيرة، ربما يكون منها عدم الإفراج عن الوثائق التي تشهد على الأحداث وضياعها بعد ذلك، على عكس ما يحدث في دول الغرب، حيث تسمح القوانين فيها بالاطلاع على الوثائق بعد مُضيّ فترة من الزمن.

لذا كانت شهادات الشخصيات الكبيرة حول الأحداث التي عاصروها وشكّلوا جزءًا مهمًا من ملامحها مصدرًا مهمًا من مصادر معرفتنا بالتاريخ.

حقًا، قد يشوب الشهادة بعض التحيّز أو عدم الدقّة، لكنها تبقى في النهاية مصدرًا لا نستطيع تجاهله أو عدم الاعتداد به، خاصة إذا قارنّاها بشهادات الآخرين، فربما نخرج منها بحقيقة أو درس مهنيّ أو موقف إنسانيّ يساعدنا على تكوين رؤية واضحة لمشهدٍ ما في حياتنا أو تاريخنا، من هنا كانت أهمية هذه السلسلة التي تحمل عنوانًا دالًّا على مضمونها وهو «شاهد على العصر». فالشخصيات التي معنا قامات مصرية كبيرة، شهدت أحداثًا كانت نقاطًا فارقة ومنعطفات تاريخية

مهمة، لذا.. من المهم أن نتعرف على ما عندهم ولم تذكره الكتب، لكنهم أفاضوه وقصوه مع الإذاعي الكبير عمر بطيشة في برنامجه الشهير «شاهد على العصر». والذي يسعدنا أن تكون مادته بين يديك عزيزي القارئ من خلال هذه السلسلة، بذلك نكون قد ساهمنا بدورنا في توثيق هذه الشهادات حتى يستطيع القارئ والباحث الرجوع إليها وقتما يريد.

وهذه الشهادة -تحديدًا- تزداد أهميتها لكون الشاهد أحد المفكرين اليساريين، وأحد أقطاب حركة اليسار في مصر، إنه المفكر محمود أمين العالم.


سـيرة ذاتيـة
محمود أمين العالم

محمود أمين العالم: (١٨ فبراير ١٩٢٢ - ١٠ يناير ٢٠٠٩) مفكر يساري، وأحد أقطاب حركة اليسار في مصر.

ولد في حي الدرب الأحمر في القاهرة، وبدأ دراسته الأولى في كُتّاب الشيخ السعدني في مدخل حارة السكري، ثم في مدرسة الرضوانية الأولية في حي القرية، ثم في مدرسة النحاسين الابتدائية بحي الجمالية، ثم في مدرسة الإسماعيلية الثانوية الأهلية بحي السيدة زينب، ثم مدرسة الحلمية الثانوية بالقرب من حي القلعة.

انتسب في شبابه للحزب الشيوعي المصري، درس الفلسفة في جامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة حاليًا)، حيث عمل بعد تخرجه في الجامعة حاصلًا منها على درجتي الماجستير، والدكتوراه، كما عمل في مجلة روز اليوسف.

فُصل من عمله في عام ١٩٥٤ مع عدد من زملائه اليساريين، والشيوعيين، وقد اعتقل مرارًا في عَهدَي الرئيسين جمال عبد الناصر، وأنور السادات، غادر إلى باريس في فترة حكم السادات حيث عمل مدرسًا للفكر العربي المعاصر في جامعة باريس.

التحق بعد شهادة الثانوية (البكالوريا) بقسم الفلسفة - كلية الآداب - جامعة فؤاد الأول (القاهرة اليوم)، حصل على شهادة الليسانس، وعُيّن مدرسًا مساعدًا بالقسم بعد حصوله على درجة الماجستير في الفلسفة عن رسالته التي عنوانها: (فلسفة المصادفة الموضوعية في الفيزياء الحديثة، ودلالتها الفلسفية)، وحصل بها على جائزة الشيخ مصطفى عبد الرازق، وسجل بحثًا للدكتوراه حول: (الضرورة في العلوم الإنسانية)، غير أنه فُصل لأسباب سياسية من القسم عام ١٩٥٤. لعب العالم دورًا بالغ الأهمية في الحياة السياسية، والفكرية، والأدبية المصرية المعاصرة، خاصة بالنسبة للتنظيمات الشيوعية المصرية، وشَغَلَ عدة وظائفَ هامة منها:

- مدرس مساعد بقسم الفلسفة - كلية الآداب - جامعة القاهرة.
- رئيس مجلس إدارة المؤسسة العامة للكتاب.

- رئيس مجلس إدارة مؤسسة المسرح، والموسيقى، والفنون الشعبية.
- رئيس مجلس إدارة مؤسسة أخبار اليوم.
- عضو زميل في كلية القديس أنطوني جامعة أكسفورد إنجلترا.

صاحب المقولة المأثورة "إن حياة الإنسان مزيج من الكينونة، والصيرورة.. من الثبات، والتغير.. وإن بين هذين الطرفين جدلًا حيًّا متصلًا لا ينقطع أبدًا".. فهو منذ بدأ حياته العملية التي امتزج فيها الفكر، والثقافة النظرية بالكفاح السياسي الذي أدى به إلى السجن أكثر من مرة في حياته، سواء قبل ثورة يوليو، أو بعدها، طوال هذا المشوار لم ينقطع الجدل الحي بين الكينونة، والصيرورة، وبين الثبات، والتغير سواء في عهد الرئيس الراحل جمال عبد الناصر الذي قرَّبه، وعيَّنه رئيسًا لهيئة الكتاب، ورئيسًا لأخبار اليوم، ولكنه سُجن في عهده، أو في عهد الرئيس الراحل أنور السادات الذي سجن في عهده -أيضًا- مع مجموعة ممن أطلق

عليهم مراكز القوى، أو بعد ذلك حينما عاش في فرنسا مواصلًا كفاحه إلى أن ألغي قانون العيب، فعاد إلى مصر ليصدر مجلة قضايا فكرية لتنمية الفكر المصري العربي، في كل ذلك ظل رمزًا للمفكّر القابض على مبادئه، ولو كانت جمرات من نار.

الهيئات المشترك فيها :

- عضو اتحاد الكتّاب المصريين.
- عضو نقابة الصحفيين المصريين.
- مقرر لجنة الفلسفة في المجلس الأعلى للثقافة.

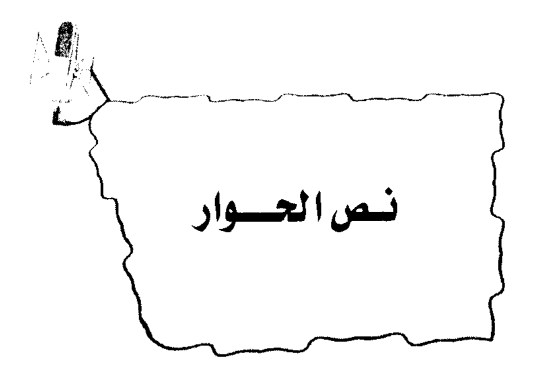
أهم مؤلفاته :

- ألوان من القصة المصرية ١٩٥٥ تقديم د. طه حسين.
- في الثقافة المصرية بالاشتراك مع د. عبد العظيم أنيس.
- معارك فكرية: ١٩٧٠- ترجمة روسية ١٩٧٤ -موسكو.
- الثقافة، والثورة: دار الآداب ١٩٧٠.
- تأملات في عالم نجيب محفوظ: ١٩٧٠ القاهرة.
- فلسفة المصادفة: ١٩٧١ القاهرة.

- هربرت ماركيوز، أو فلسفة الطريق المسدود ١٩٧٢.
- الإنسان موقف ١٩٧٢.
- الرحلة إلى الآخرين: ١٩٧٤ القاهرة.
- الوجه، والقناع في المسرح العربي المعاصر ١٩٧٣.
- البحث عن أوروبا ١٩٧٥.
- توفيق الحكيم مفكِّرًا فنانًا ١٩٩٤.
- ثلاثية الرفض، والهزيمة: دراسة نقدية لثلاث روايات لصنع الله إبراهيم - ١٩٨٥ القاهرة.
- الوعي، والوعي الزائف في الفكر العربي المعاصر ١٩٨٨ القاهرة.
- الماركسيون العرب، والوحدة العربية ١٩٨٨.
- مفاهيم، وقضايا إشكالية ١٩٨٩.
- البنية والدلالة في الرواية العربية المعاصرة ١٩٩٤.
- الفكر العربي بين الخصوصية، والكونية ١٩٩٦.
- مواقف نقدية من التراث ١٩٩٧.

- الإبداع، والدلالة: مقاربات نظرية، وتطبيقية ١٩٩٧.
- أغنية الإنسان: ديوان شعر ١٩٧٠.
- كتاب "من نقد الحاضر إلى إبداع المستقبل"، مساهمة في بناء نهضة عربية جديدة ٢٠٠١.

بالإضافة إلى عشرات الدراسات، والمقالات، والمحاضرات في مجلات مصرية، وعربية، وأجنبية.


نص الحوار

نرحب بالمفكر الكبير الأستاذ/ محمود أمين العالم، نحن سعداء بانضمام سيادتكم لسلسلة شاهد على العصر*.

وكم أنا سعيد – أيضًا- بهذا الحوار.

مولده، وعلاقته بأعلام بلدته

سوف نتخلّل في هذه الشهادة سيرتك الذاتية التي أقترح أن نبدأها من البداية المبكّرة الأولى منذ الميلاد عام ١٩٢٢ في حي الدرب الأحمر بالقاهرة، فأين ولدت في هذا الحي بالتحديد؟

ولدت في حارة الكحكيين التي بها الشيخ إمام[1]، وأحمد فؤاد نجم[2]...

---

* أذيع هذا الحوار عام ١٩٩٨

[1] **الشيخ إمام**: اسمه الحقيقي إمام محمد أحمد عيسى (٢ يوليو ١٩١٨ - ٧ يونيو ١٩٩٥) ولد في قرية أبو النمرس، بمحافظة الجيزة، لأسرة فقيرة، وكان أوَّل من يعيش لها من الذكور، حيث مات منهم قبله سبعة، ثم تلاه أخ، وأخت، أصيب في السنة الأولى من عمره بالرمد الحبيبي، وفقد بصره بسبب الجهل، واستعمال الوصفات البلدية في علاج عينه، فقضى إمام طفولته في حفظ القرآن الكريم، وكانت له ذاكرة قوية.

التقيت على كبرٍ بهم في نفس المكان، ولكنني تنقلت في أنحاء هذا المكان، فانتقلنا إلى حارة اسمها (القربية) ناحية بوابة المتولي، هذا الحي الجميل، ثم انتقلنا بعد ذلك إلى ضرب المحروق القريب من جبل الدراسة، وقد عِشتُ في جبل الدراسة فترة، وبعد ذلك إلى شارع حيضان المصري -أيضًا-، القريب من حي الدرب

---

(2)**أحمد فؤاد نجم**: (مواليد ١٩٢٩ - محافظة الشرقية) أحد أهم شعراء العامية في مصر، وأحد أشهر اليساريين في مصر، وأحد ثوار الكلمة، واسم بارز في الفن، والشعر العربي الملتزم بقضايا الشعب، والجماهير الكادحة ضد الطبقات الحاكمة الفاسدة، وبسبب ذلك سجن ثمانية عشر عاما، يترافق اسم أحمد فؤاد نجم مع ملحن، ومغنٍّ هو الشيخ إمام، حيث تتلازم أشعار نجم مع غناء إمام لتعبر عن روح الاحتجاج الجماهيري الذي بدأ بعد نكسة حزيران ١٩٦٧.

قال عنه الشاعر الفرنسي لويس أراجون: إن فيه قوة تسقط الأسوار، وأسماه الدكتور علي الراعي "الشاعر البندقية" في حين يسميه: أحد الحكام العرب وهو أنور السادات: "الشاعر البذيء"، في عام ٢٠٠٧ اختارته المجموعة العربية في صندوق مكافحة الفقر التابع للأمم المتحدة سفيرًا للفقراء.

الأحمر، في قلب الدرب الأحمر، فتنقلت في الحي في كل مجالاته الحقيقة.

هذه المنطقة سعيدة الحظ أن ولد فيها كثير من عباقرة مصر، وعاشوا، وتربوا بين جنباتها التي تحمل عبق التاريخ، والأصالة، والحضارة، وأيضًا لأن الكاتب الكبير نجيب محفوظ[٣] تناولها في العديد من رواياته، وكذلك العديد من المؤلفين...

عندما أقرأ للكاتب الكبير نجيب محفوظ أقرأ حياتي، أقرأ أجوائي، لأني في البداية تعلمت في مدرسة الشيخ السعداني بجوار بوابة المتولي، وهي حارة السكرية التي كتب إحدى رواياته باسمها، ثم انتقلت إلى مدرسة النحاسين في بيت القاضي.

---

[١] نجيب محفوظ: روائي مصري حائز على جائزة نوبل في الأدب. وُلد في ١١ ديسمبر ١٩١١، وتوفي في ٣٠ أغسطس ٢٠٠٦. كتب نجيب محفوظ منذ بداية الأربعينيات واستمر حتى ٢٠٠٤. تدور أحداث جميع رواياته في مصر، وتظهر فيها ثيمة متكررة هي الحارة التي تعادل العالم. من أشهر أعماله الثلاثية وأولاد حارتنا التي مُنعت من النشر في مصر منذ صدورها وحتى وقتٍ قريب. بينما يُصنف أدب محفوظ باعتباره أدبًا واقعيًا، فإن مواضيع وجودية تظهر فيه، وهو أكثر أديبٍ عربي حولت أعماله إلى السينما والتلفزيون.

بيت القاضي فعلًا في هذه المنطقة، ثم الأزهر، ثم منطقة الأزهر، والحواري التي يذكرها قد عشتها، وتحركت فيها، وفي طريقي اليومي إلى المدرسة وعودتي منها، وفي لعب الكرة، وفي لقاء الأصدقاء، فهذا الحي -حي روايات نجيب محفوظ- هو معيشتي الحقيقة، وحياتي في مرحلة طويلة من عمري.

الكُتَّاب في حياة العالم

ذكرت أنك بدأت في كُتّاب الشيخ السعدني، وهذا يعني أنك من الأجيال التي تربّت في الكُتّاب؛ فما هو تأثير الكُتَّاب في تكوين، ونشأة من يتلقون العلم فيه؟

يكاد الكُتَّاب يكون امتدادًا للمنزل، لأن أبي وإخوتي كانوا رجال علم، ورجال أزهر، فكان الكُتاب امتدادًا دينيًّا لبيت دينيٍّ، وهذا ما رسَّخ الثقافة الدينية بداخلي، ولم تكن مرحلة سهلة، بل كانت قاسية؛ لأن الشيخ السعدني كان قاسيًا جدًّا، فقد كنا نحفظ القرآن، ونُجوِّده في نفس الوقت، وكانت مرحلة محدودة،

وسريعة، وسرعان ما انتقلت بعد ذلك للمدرسة الأولية، والحي كان حيًّا ثقافيًّا؛ لأنه على مقربة من الكتب خانة؛ هل تذكرها؟

نعم.. أذكرها جيدًا.

كنت أذهب منها سيرًا على الأقدام، وأيضًا، مكتبات حي الأزهر مثل (صُبيح) وغيرها، وقد ذكرت في بعض كتاباتي أن هذه المكتبات كانت تبيع بعض السير القديمة الشعبية بالأجزاء الصغيرة بـ (قرش صاغ)، أو (تعريفة «خمسة مليم») أقرأها، ثم أعيدها، وآخذ القسم الثاني، فالجو كان جوًّا ثقافيًّا، وكذلك الجوامع كانت ثقافية، ففي جامع المرداني -مثلًا- كنت أدرس، وأذاكر في جوها الرطب اللطيف، وهناك نلتقي طلبة يذاكرون -أيضًا-، وعندما ذهبت لكلية الآداب، ودرست الفلسفة كنت حريصًا على أن أذهب إلى الأزهر، وأجلس إلى العمود الذي يُدرِّس فيه أحد المشايخ المنطقَ الأرسطي، وتأثيره في المنطق العربي، والجدل بين المنطق العربي الإسلامي والمنطق الأرسطي، فكنت -بالفعل- أستقي، وأمتاح من هذا الجو العام، ومدارسه المختلفة من

جامع، أو مكتبة، أو دار كتب، أو مكتبة بيع ..إلخ، فالإطار العام إطار تراثي، وثقافي.

قضية الأصالة والمعاصرة

نود الآن أن تقدم لنا نظرة مقارنة، وسريعة بين هذه النشأة التراثية الثقافية، وبين نشأة طفل العصر الحالي، الذي ينشأ محاطًا بأجهزة الإعلام -التليفزيون خاصة- وهل هذا أكثر من الاتصال المباشر الذي كنت تتلقاه وأنت طفل؟

في الحقيقة نحن أقرب إلى الابتعاد عن تراثنا من الارتباط به، فأنا ضد الاستغراق الكامل في التراث، ومع أن نتعامل مع التراث بموقف نقدي، أي أن نتمثله، وأنا دائمًا أكرر كلمة جميلة قالها الشيخ أمين الخولي[4]: (إن قتل التراث معرفة).

---

(4) شيخ أمين الخولي (١ مايو ١٨٩٥ - ٩ مارس ١٩٦٦) أديب من كبار حماة اللغة العربية، ومناضل شارك في ثورة ١٩١٩ ونُفي مع سعد زغلول إلى سيشل. شارك في عدد من الجمعيات الإصلاحية ومقاومة الاحتلال، وأسس مجلة الأدب مدرسة للفن والحياة على نفقته الخاصة ولتعيش عشر سنوات إنتهت في مارس عام ١٩٦٦ عام رحيله.

فالتراث لابد أن نعرفه، وأن نتمثله، ودائمًا أمثله بالابن البار بأبيه، فالابن لابد أن يكون بارًّا بأبيه لا كارهًا له، بل يضيف إليه، ويبدع عنه، ويتجاوزه إلى ما هو أسمى، وأعلى، لا أن يقتله، ويقضي عليه، ويتناساه، ولكن يتمثله، ويهضمه هضمًا، ثم يضيف إليه. هذه هي البنية الجديدة، كذلك نحن في كتابتنا نعرض التراث كما هو، وللأسف بنظرة تكرارية.

وشمولية لا انتقائية...

قد يكون فيها الانتقاء، وأنا -أحيانًا- أخشى الانتقاء، لأن أرى أن كل ما في التراث -اختلفتُ معه، أو اتفقتُ- تراثي، فأنا -مثلًا- قد أميل إلى المعتزلة؛ لأنهم عقلانيون، أو ابن رشد؛ لأنه عقلاني، ومفكر كبير؛ لكني -أيضًا- مع الأشاعرة، ومع المتصوفة، مع كل هذا التراث، فهو تراثي، القضية بيني وبين كل هذه المدارس أن أقف منها موقف الدارس، الباحث، المتمثل، الناقد، لا موقف المنتقِي.

هذا هو المهم...

((•)) والنقد ليس بمعنى النقض، أو الدحض، أو الهدم، لكنَّه النقد بالمعنى البنَّاء، فهذا التراث القديم هو ما لاحظتُه من سياقه التاريخي، من ظروفه المعينة، لا أن أحفظَه كنصوص جامدة، مطلقة، ليس هناك إطلاق في هذه النصوص التراثية، الفكرية، ولكن يعرف في سياقه الخاص، في معاركه، وبالتالي أنا ابن هذا التراث، ولهذا أنا أختلف مع أستاذنا الكبير زكي نجيب محمود[*]؛ لأنه صاحب الرؤية الانتقائية من التراث، نأخذ من التراث ما ينفعنا، ولا نتمثل كل تراث؛ والحقيقة أن التراث في ذاته ليس فيه

---

[*] زكي نجيب محمود (١ فبراير ١٩٠٥ – ٨ سبتمبر ١٩٩٣م): مفكّر وفيلسوف مصري. ولد في قرية ميت الخولي، دمياط، وحصل على الدكتوراة في الفلسفة من لندن. وعين مستشارًا ثقافيًّا للسفارة المصرية في واشنطن، وعضوًا في المجلس القومي للثقافة. حصل الدكتور زكي نجيب محمود على جائزة الدولة التقديرية فى الآداب سنة ١٩٧٥.

قدم سيرته الذاتية في ثلاثة كتب هي: قصة نفس، وقصة عقل، وحصاد السنين الذي أصدره سنة ١٤١٢ هـ = ١٩٩١م، وهو آخر كتبه، وتوقف بعدها عن الكتابة، بعد أن شعر أنه أدى رسالته ولم يعد لديه جديد يقدمه، بالإضافة إلى ضعف بصره الذي اشتد عليه ومنعه من القراءة والكتابة. وظل على هذا الحال حتى أدركته منيته في ١٢ ربيع الأول ١٤١٤ هـ/ ٨ سبتمبر ١٩٩٣ م.

ما ينفعنا بشكل مباشر، مع احترامي لطب ابن سينا[٦]، لا يستطيع طب ابن سينا أن ينفعنا، ولكن طب ابن سينا يجب أن أدرسه، وأن أتبين دلالته في عصره، فهو قيمة كبيرة جدًّا.

هذا يعني ألا آخذ به كله، أو لا أعمل به، كما ضربت لنا المثل بطب ابن سينا.

القضية الحقيقة هي أن أتمثله برؤية نقديه، وأتجاوزه مستفيدًا بخبرة العصر، وموقفي من خبرة العصر يشبه موقفي من التراث، فخبرة العصر ينبغي أن أقف منها موقفًا نقديًّا، لا موقف

---

(٦) **ابن سينا**: هو أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا، عالم مسلم اشتهر بالطب والفلسفة واشتغل بهما. ولد في قرية (أفشنة) بالقرب من بخارى (في أوزبكستان حاليًا) من أب من مدينة بلخ (في أفغانستان حاليًا) وأم قروية سنة ٣٧٠هـ (٩٨٠م) وتوفي في مدينة همدان (في إيران حاليا) سنة ٤٢٧هـ (١٠٣٧م). عرف باسم الشيخ الرئيس وسماه الغربيون بأمير الأطباء وأبو الطب الحديث. وقد ألّف ٢٠٠ كتابًا في مواضيع مختلفة، العديد منها يركّز على الفلسفة والطب. إن ابن سينا هو من أول من كتب عن الطبّ في العالم ولقد اتبع نهج أو أسلوب أبقراط وجالينوس. وأشهر أعماله كتاب الشفاء وكتاب القانون في الطب.

ترديد لآراء الأخرين، فلا أرددها كالببغاء، ولكن ينبغي أن أتمثلها تمثيلًا نقديًّا، وأوازنها مع معايير بيئتي، أي آخذ ما يتفق مع بيئتي، وما أضيف به من خبرة خاصة ألوّن بها حياتي، وعندما كنت في فرنسا طُلب مني أن أُدرِّسَ التراث العربي الإسلامي رغم أني متخصص في الفلسفة العلمية.

وهل دَرَّستَه بالفعل؟

نعم؛ في جامعة (بريومت)، فدرست كتاب الرسالة للإمام الشافعي، ودرست التراث العربي الفقهي، والأصولي، وجدت الجرأة في الإبداع في ربط الدين بالحياة، من سماحتة الدين ومرونته، واختلاف النص، وتأويل النص باختلاف المكان، والزمان، والأحوال، ومصالح العباد.

هذه المسألة مهمة للغاية، فالآن يفهم الدين فهمًا جامدًا نَصِّيًّا، بعض الناس يقول لك: ليس المهم النص، المهم مقاصد الشريعة، من الخير، والسعادة، والتقدم إلى آخر هذا.

ومصالح العباد أيضًا.

مقاصد الشريعة لا تتعارض مطلقًا مع مصالح العباد.

فهم النص الديني

أنت تشير هنا إلى ظاهرة التطرف الديني التي أصبحت سائدة بالفكر الأصولي في وقتنا هذا، أليس كذلك؟

بلى؛ فهي رؤية جامدة للدين، رؤية نصِّيَّة حرفِيَّة لنصوص الدين، لا تتعمق إلى ما وراء النص، ونحن في تراثنا الأصولي الفقهي العظيم نجد فكرة التأويل، أي أن نُؤَوِّل نصًّا بما يتفق مع مصالح العباد.

ما الفرق بين التأويل، والتفسير؟

ليس ثمة فرقًا كبيرًا، فالتفسير -حقيقة- يمكن أن يكون تفسير المعاني، أما التأويل فهو تأويل بمقتضى الحال، وابن خلدون[٧] له كلمة جميلة جدًّا، فهو يقول: «النص محدود، والوقائع

---

[٧] **ابن خلدون**: مؤسس علم الاجتماع ومؤرّخ مسلم من إفريقية في عهد الحفصيين وهي تونس حاليًا، ترك تراثًا ما زال تأثيره ممتدًا حتى اليوم. ولد في عام ١٣٣٢م (٧٣٢هـ) بالدار الكائنة بنهج تربة الباي رقم ٣٤. وأسرته أسرة علم وأدب، فقد حفظ القرآن الكريم في

متجددة» أي أن النص ثابت، والوقائع متجددة، فكيف نُوفِّقُ بين النص الثابت، والوقائع المتجددة؟ هل نُقحِمُ الوقائع المتجددة في النص الثابت؟ أم نُؤَوِّل النص الثابت ليتفق مع الوقائع المتجددة؟ أو كما قال بعض الفقهاء: «لو تناقض النص الثابت مع مصالح العباد.. نأخذ بمصالح العباد»، لأن القرآن من شأنه مراعاة مصالح العباد.

وهكذا؛ فالتأويل ربط النص باختلاف المكان، والزمان، والأحوال كما قال كثير من الفقهاء، والمهم كيف ننظر إلى التراث نظرة إبداعية، نقدية، نجدد ما فيه بحَسْبِ الواقع؟ وكيف ننظر - أيضًا- إلى الحداثة، وإلى مستجدات العصر نظرة إبداعية؟ فلا

طفولته، وكان أبوه هو معلمه الأول، شغل أجداده في الأندلس وتونس مناصب سياسية ودينية مهمة وكانوا أهل جاه ونفوذ، نزح أهله من الأندلس في منتصف القرن السابع الهجري، وتوجّهوا إلى تونس، وكان قدوم عائلته إلى تونس خلال حكم دولة الحفصيين. توفي في مصر عام ١٤٠٦ وتم دفنه قرب باب النصر بشمال القاهرة، وذلك بعد أن ترك لنا علمه وكتبه القيّمة التي ما زالت مرجع للعديد من العلماء الآن.

نأخذها لنطبقها فقط تطبيقًا أعمى، ولكن نُكيِّفُها بما تقتضي أحوالنا، ثم نُبدع على مثالها، أو ما يتفوق عليها.

قضية العولمة

إذن، أستاذنا الكبير اخترت أن تدخل إلى قلب الشهادة مباشرة بأخطر قضية مدَّت ظلالها على مصر، والعالم العربي، بل والعالم الثالث -أيضًا- طوال القرن العشرين، وهي قضية (الأصالة والمعاصرة)، والحيرة بينهما، والمعادلة الصعبة في كيفية الجمع بين الأصالة، وبين الحداثة، أو المعاصرة، وهنا أذكر كلمة للمفكر الكبير (د/ مراد وهبة)[٨] يقول فيها: «إن العالم المعاصر منقسم -أو كان منقسمًا- إلى العالم الرأسمالي، والعالم الاشتراكي، والعالم الثالث بلا هُوِيَّة»، فما رأي سيادتك في هذه المقولة؟

---

(٨) د/ مراد وهبة: بروفيسور وأستاذ الفلسفة في جامعة عين شمس وعضو في مجموعة من الأكاديميات والمنظمات الدولية المرموقة كما أنه المؤسس ورئيس الجمعية الدولية لابن رشد والتنوير العام ١٩٩٤ م. واسمه مذكور في موسوعة الشخصيات العالمية حيث يعتبر من بين الـ ٥٠٠ شخصية الأكثر شهرة في العالم.

(●) أنا أرى حقيقة أننا الآن نعيش في عالم واحد.

رغم المعسكر الشرقي، والمعسكر الغربي.

(●) في داخله اختلافات، وهي اختلافات مستويات، فنحن نعيش ما يسمى بـ «العولمة»[*]، والعولمة حقيقة موضعية سواء أردنا أم لم نرد، وأنا دائمًا أقول: إن العولمة ليست جديدة في العالم، فكل مرحلة من مراحل التاريخ كانت عولمة، ولو عولمة جزئية.

الحضارة اليونانية كانت هي حضارة العالم في ذلك الوقت، بل كانت هي العالم، وكانت الحضارة العربية الإسلامية من أقصى

(*)العولمة: هي مصطلح يشير المعنى الحرفي له إلى تلك العملية التي يتم فيها تحويل الظواهر المحلية أو الإقليمية إلى ظواهر عالمية. ويمكن وصف العولمة أيضًا بأنها عملية يتم من خلالها تعزيز الترابط بين شعوب العالم في إطار مجتمع واحد لكي تتضافر جهودهم معًا نحو الأفضل.

تمثل هذه العملية مجموع القوى الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية والتكنولوجية. وغالبًا ما يُستخدم مصطلح "العولمة" للإشارة إلى العولمة الاقتصادية؛ أي تكامل الاقتصاديات القومية وتحويله إلى اقتصاد عالمي من خلال مجالات مثل التجارة والاستثمارات الأجنبية المباشرة وتدفّق رؤوس الأموال وهجرة الأفراد وانتشار استخدام الوسائل التكنولوجية.

الصين إلى جنوب أوربا إلى البحر الأطلنطي، كانت هي العالم في ذلك الوقت، العالم بمعنى ثقافتها، فهي الثقافة المسيطرة المهيمنة.

والسائدة.

السائدة -بالفعل-، وابتداء من القرن السادس عشر، أو السابع عشر برز نمط جديد من الإنتاج في العالم هو نمط النظام الرأسمالي الذي بدأ في أوربا، ومن طبيعة النظام الرأسمالي أنه يقوم على التنافس، والتوسع، وفي خلال هذه الفترة أخذ يتوسع حتى أصبح العالم كله -بالفعل- تحت سيطرة هذا النمط الرأسمالي العالمي، سواء الذين ينتجون هذا النمط، أو الذين يكتفون باستهلاكه، ويعيشون على هامشه، لكننا جميعًا (معولمون) أردنا أم لم نُرد، ولكن هناك مستويات في هذا (التعولم)، مستويات المنتج، والمستهلك، أو الذي يعيش على الهامش، ثم في داخل العولمة، وهذه هي القضية، وهذه العولمة الإنسانية العامة هي التي تشكل - قبلنا أو لم نقبل- وحدة العالم الحقيقية، وهي قضية في طبيعتها إيجابية رغم ما في العولمة من شراسة، وبشاعة، وإجرام في

العلاقات الإنسانية -أحيانًا- نتيجة للطابع الرأسمالي، ونتيجة لشيء آخر وهو الهيمنة، هناك سبعُ دول يسيطرون على هذه العولمة، وهي الدول الأوروبية التي تعد مجلس إدارة العالم، وعلى رأسها الهيمنة الأمريكية.

السيادة الأوروبية

الهيمنة الأمريكية «رئيس مجلس الإدارة».

رئيس مجلس الإدارة البالغ الشراسة، والذي يريد أن يُنمِّط العالم، أي يجعل كل العالم سياسيًّا، واقتصاديًّا، وثقافيًّا في رؤيته، الرؤية الأمريكية في العالم التي تريد أن تسيطر علينا، وتجعل الكل يشرب (كوكا كولا).

لمصلحته

طبعاً، كلنا نأكل (همبورجر)،أليست هذه منتجاته؟ لكن أخطر من هذا سياسة المصالح الاقتصادية التي تريد أن تجعل منها اقتصادًا مهيمنًا، فثقافته أن تكون المسلسلات الأميريكية، والسينما

الأميريكية في المرتبة الأولى عالميًا، فهناك ما يسمى بالغزو الثقافي الأميريكي

الغزو الثقافي.

الغزو الثقافي الأميريكي، فهناك عولمة، وهيمنة، وفي داخل الهيمنة صراعات حتى بين الدول السبعة، والصراع الأخطر أصبح بين الدول السبعة الكبيرة، والدول الرأسمالية الكبيرة المنتجة، ودول العالم الثالث، ولهذا فالقضية ليست شرق، وغرب اليابان، هل هو شرق، أم غرب؟

حاليًا بالطبع هو غرب.

فقضية شرق، وغرب قضية جغرافية، لكنها لا تُشكِّل جوهر الظاهرة، أنا أرى أن أوربا فيها جنوب، وشمال.

في أوربا نفسها.

بالطبع؛ لأن هناك بلدًا فقيرًا، وبلدًا غنيًّا، وهناك صراعات بينهما...

إذن هي عملية تبسيط، وتسطيح للقضايا حينما نحاول أن نحددها بهذه الشماعات الفكرية.

نعم؛ هذا صحيح.

وما العناوين السهلة بالنسبة لنا؟

أن نكتشف ما هو جوهري، ما هو جوهر الصراع، وجوهر طبيعة العلاقات، ومن أجل هذا -مثلًا- فكرة العولمة لا شك أن فيها شرورًا بشعة، وفيها جشعًا رأسماليًّا، ولكن هل أنا ضد العولمة؟ بالعكس؛ أنا أرحّب بالعولمة، ولكني أتصدى لها بأن أحوّلها من عولمة فيها هذه الهيمنة، والجشع إلى عولمة تحتوي -في داخلها- تنوُّعًا بَشريًّا، بها اختلاف لأشكال التنمية، واختلاف الخبرات، واحترام الصغير، والكبير، ودعم المؤسسات الدولية التي تقضي عليها هيئة الأمم المتحدة الآن، ومجلس الأمن يتآكل؛ لأنه يُمتَطى لمصلحة هذه الدول الكبير خاصة أميركا، لو استطعنا أن نؤكد المشروعية الدولية؛ لحققنا سلامًا، وتغييرًا في العلاقات الدولية، القضاء على كل المشاكل، وخاصة أن هناك قضايا تعولمت

مثل مشاكل الصحة، لأن مرضًا مثل الإيدز[١٠] يُعدُّ مرضًا عالميًا، يجب على كل العالم أن يواجهه، وكذلك التَّصَحُّر، وغيرها من المشكلات، والقضايا.

والأوزون مثلًا.

والأوزون، وقضايا البيئة، وقضايا المخدرات، ودعارة الأطفال، والنساء، كلها قضايا إنسانية شاملة، (مُعولَمَة)، وينبغي أن تواجه مواجهة (معولمة) -أيضًا-، كما أن هناك -أيضًا-عولمة في الثقافات، رغم أني أؤمن بخصوصية ثقافة كل بلد، لكنَّ العلم

---

(١٠)**(الإيدز) متلازمة نقص المناعة المكتسبة**: اعتلال خطير ينتج عن عجز مقدرة أجهزة المناعة في الجسم على الدفاع عن نفسه من كثير من الأمراض. فعندما يغزو فيروس نقص المناعة البشري (Human immunode Ficiency Virus) (HIV) وهو الفيروس المسبب للإيدز الخلايا المناعية الرئيسية والمسماة خلايات اللمفية T-Lymphocytes ويتكاثر فانه يسبب تدميرًا لجهاز المناعة بالجسم مما يؤدي إلى حالة ساحقة من العدوى أو السرطان أو هما معًا وهكذا يكون الجسم لقمة سائغة وفريسة سهلة للعلل والأمراض، مما يؤدي في نهاية المطاف إلى الموت. ورغم أن الباحثين كانوا يتبادلون حالات هذا المرض منذ عام ١٩٥٩م إلا ان أول اكتشاف الإيدز كان في أميركا عام ١٩٨١م، ثم تتابع تشخيص حالات هذا المرض في جميع أنحاء العالم.

أصبح مشتركًا ثقافيًّا، التكنولوجيا أصبحت مشتركًا ثقافيًّا، رغم وجود احتكارات بالنسبة لها، لكن ينبغي أن تُعمَّمَ، وخلاصة الأمر أن العولمة ظاهرة تعبر عن الاتجاه نحو وحدة العالم، ولكن ينبغي أن تتحول من وحدة العالم لمصلحة فئة معينة، وقوة معينة، أن تكون لمصلحة وحدة العالم دون إلغاء خصوصيات الأولويات الثقافية المختلفة.

عظيم، وأنا أحسست بهذا الحماس، وهذا التدفق من الكاتب، والمفكر الكبير الأستاذ محمود أمين العالم، وكأنك تريد أن تثبت شهادتك على قضية العولمة في صدر شهادتك على العصر، باعتبارها من أهم القضايا.

هذه أخطر قضية لنا، والغريب -حقيقة- أننا ندعو، وندافع عن العولمة الصحيحة، وشَكلُ دفاعنا عنها يتمثل عمليًا في دفاعنا عن هُويتنا الخاصة، أي لابد أن نجمع بين العولمة، والخصوصية، والمفروض أن يكونا متناقضَيْن، ولكني أقول: إن صحة العولمة -عافيتها الإنسانية- لن تتحقق إلا إذا كان لكل بلد،

ولكل قومية خصوصياتها التي تُحترم، وثقافتها التي تُحترم، ويحدث قصور من المواد، وقصور من تبادل الخبرات، وتغذية متبادلة.

هذا الجدل الحي بين الخصوصية، والعولمة جزء من الجدل الكِياني الذي بدأتَ به شهادتك، والذي أشرتُ إليه في المقدمة في حديثك عن أن حياة الإنسان مزيج من الكينونة والصيرورة، والثبات والتغير، والخاص والعام.

كل ما فيه الخاص، وفيه العام لو قضينا على العام على حساب الخاص لن يعيش، ولو فعلنا ذلك لتقوقعنا، وهذا انتحار حضاري.

مذكرات مهمة

أنا أجد حياتك نموذجًا لهذا الجدل، وهذا الحوار بين الخاص والعام، حتى ونحن نحكي عن نشأتك الأولى في (الدرب الأحمر)، وكُتَّاب الشيخ السعدني طرحتَ من خلاله قضية العولمة، والأصالة والمعاصرة، والتراث والتجديد.

ونودُّ أن نعود إلى السيرة الذاتية، ومشوار حياتك، والمرحلة الابتدائية، والثانوية في دراستك؛ وأنا أعلم أني أضغط على ذاكرتك كثيرًا، فبعض الأحداث، والتفاصيل تسقط على مر السنين، وأنا أذكر أنك في إحدى كتاباتك قلت: إن شقيقتك اتصلت بك لتصحح لك بعض ما جاء في الجزء الأول من مذكراتك، وإن أخاك الذي استُشهِد في ثورة ١٩ لم يكنِ اسمه (فهمي) على اسم بطل قصة نجيب محفوظ، وإنما كان اسمه (فتحي)، وإنك لم تكن في مدرسة كذا إنما في مدرسة كذا، فأنا أعرف عبء عملية التذكير بالتفاصيل، لكن سنحاول معًا أن نتذكر أهم ملمح في هذه الفترة.

(●) هي -بالفعل- بالغة التعقيد، لكن بمناسبة(فهمي) و(فتحي) هذا يجعلني أتساءل عن مفهوم التذكر، والنسيان، لماذا جعلت فتحي أخي و(فهمي)، لأني في قراءتي فعلًا لنجيب محفوظ، وأنا أقرأها تصوّرت أن فتحي هو فهمي، ولهذا فالنسيان كان مرتبطًا بعملية خيالية.

عملًا لا شعوريًّا، وأسقطت عليه اسم فهمي بدلًا من فتحي.

هذا صحيح، فهذه المرحلة كانت مرحلةً قاسيةً، فقد كنا فقراءَ في الحقيقة، أبي رجلٌ أزهريٌّ محدودُ الدَّخل، وأعباؤنا كثيرة، حتى أخي(شوقي) كان فقيرًا، وأصبح الآن محمد شوقي أمين عضو مَجمَع اللغة العربية، وهو من منشئي المجمع.

لقد كان من أوائل من دَعَوْا إلى إنشاء مجمع اللغة العربية.

هذا صحيح، ثم أصبح عضوًا فيه، وعضوًا من الجماعة الخالدة.

مجمع الخالدين.

صحيح، وقد ترك الأزهر متمردًا عليه، وله كتاب صغير اسمه الأزهر فوق المشرحة، بسببه فُصِل من الأزهر، كما فُصلت أنا من الجامعة -أيضًا- عندما جعلتُ بعض الأوضاع السياسية فوق المشرحة -أيضًا-، فخلاصة الأمر أننا أسرة فقيرة حقيقة.

عانيتَ متاعبَ في التعليم مثل مصاريفِ التعليم الذي كان مُكلِّفًا وقتئذ.

(●) المدرسة الابتدائية كانت بالمصروفات، وأذكر في السنة الثالثة أنني فُصلت ولم يُسمح لي بدخول الفصل، والعودة إلى المدرسة؛ لأني لم أدفعِ المصروفات، وأذكر أن أبي أخذني إلى المدرسة محاولًا أن أدخل، فوجد أن ما في جيبه لا يكفي لما هو مطلوب، فذهب للشيخ (منير الدمشقي) صاحب المكتبة المنيرية مكتبة مشهورة، وهو زوج خالتي -أيضًا- من الذين ينشرون كثيرًا من كتب التراث، وانتظرت على باب المدرسة إلى أن أَحضَرَ المبلغ، ودخلت، ولكنَّ الشيء العجيب أن هذا تكرر مرة ثانية، وكان من الصعب أن أُكرِّر عملية الدفع، فمُنِعت -أيضًا- من دخول الفصل، وفصلت من المدرسة، ولم أتمكن من المواصلة، وكانتِ المصادفة الغريبة أن (الملك فؤاد) كان مريضًا، وشُفِيَ، فمنحَ المجَّانِيَّةَ لبعض الطلبة المتفوقين، وكنت منهم، وعدت مرة أخرى إلى المدرسة.

التعليم.. مجانيته، وأهميته للشعوب.

ألا يطرح هذا قضية ارتفاع بعض الأصوات -الآن- التي تطالب بإلغاء مجانية التعليم التي أصبحت مكسبًا شعبيًّا لكثير من الفئات غير القادرة؟

صدقني، فمجانية التعليم أُلغيت فعلًا.

أُلغيت؛ كيف ذلك؟

بالطبع أُلغِيَت عمليًّا، أُلغيت بالدروس الخصوصية، أُلغيت بثمن الكتب التي تُدفَع، بالمال الذي يُؤخذ من الأسر باسم إصلاح المدرسة، وخدمات المدرسة إلى آخر ذلك؛ القضية ليست قضية مصروفات أو عدم مصروفات، القضية في المبدأ العام الذي لا يُراعي احتياجات الأخريين، وفي خدمات التعليم التي لم تعد موجودة على أرض الواقع، وخدمة التعليم خدمة أساسية في أي مجتمع.

البلاد النامية -في تقديري- ترتكز على أمر الإنتاج، والإنتاج الأساسي ليس الإنتاجية الفرعية الصغيرة، ثم على الخدمات،

والخدمات تشمل الصحة والتعليم، و هما الخدمات الأساسية في مثل بلادنا، وهي خدمات إنتاجية، فبالصحة يَقوَى الإنسان على العمل، وبالتعليم يكون قوَّةً إبدعية في العمل، ونحن نتخلَّى عن هذين الأمرين، وأنا أقولها صراحة: ليس ثمة خدمات صحية بالمعنى الحقيقي، إلا المحدودة جدًّا، وقد أصبحت تجارة، واستثمارًا بلا أخلاق في كثير من الأمور، والتعليم تقلَّص جدًّا، إلى جانب تَردِّي القيم نتيجة فساد التعليم، حتى قيم التعليم تردت، وقيم الصحة، فلم يعد هناك اهتمام بصحة الإنسان، ونحن نسمع الكثير والكثير عن التدنِّي الأخلاقي، والسلوكي في هذين المجالين، وذلك لعدم وجود هذه القيمة العامة التي تفهم معنى الصحة، معنى الخدمات الصحية، ومعنى الخدمات التعليمية كأساسين للنمو الاقتصادي، والنمو الاجتماعي، والنمو الأخلاقي -أيضًا-، لابد أن تسود فكرة الخدمة للمواطن، الخدمة الصحية الحقيقة، والخدمة التعليمية التي هي إنارة لإنسانية الإنسان، التعليم إنارة لإنسانية الإنسان، والصحة إنارة لجسده.

كل هذا مرتبط باحترام الإنسان.

بالطبع؛ حتى لو كانت عمليةَ مصلحة بحتة، فلا سبيل لتنمية المجتمع إلا بهذين الأساسين إلى جانب المعنى المعنوي، لأني أؤمن أن المسألة ليست صحة جسدية، وليست تعليم معلومات، ولكنَّ بناء القيمة الإنسانية يكون بالمحبة، والمودة، والمواطنة، والإحساس بالمواطنة الحقيقية، ففي مرحلة الاستعمار وُجِدَ الإنجليز، والمَلَكِية التي سيطرت عليها، ونظام رأسمالي مهيمن من الخارج بشكل مباشر، أنا مازالت أذكر الشركات الأجنبية، وذوي الأملاك من الإنجليز الذين كانوا يضربوننا في الشارع بـ(الكرابيج)، ومع ذلك كان من الممكن أن يكون التعليم مُيسَّرًا في ظل هذا النظام بشكل أو بآخر، الصحة -أيضًا- يمكن أن تكون لها قيمتها، أنا لا أدافع عن هذه المرحلة، ولكني أقول: إننا الآن نفتقد ما كان في هذه المرحلة المتخلفة.

بالتأكيد فليس من الممكن أن تدافع عن هذه المرحلة التي كان شعار كل حكومة فيها تقديم أوراق اعتمادها إلى الملك في ذلك

الحين، والتي كانت دائمًا ما تَعِدُ وعودًا ثلاثة للقضاء على الفقر، والجهل، والمرض، ولا تُنفِّذ.

(●) ويتضاعف الفقر، والجهل، والمرض، وتبتذل إنسانية الإنسان، وتتآكل وطنية الوطني، وتزداد، ولا شك في هذا.

الفتوّات.. تراث من الشعب

ذكرت لنا عشقك للقراءة، وللاطلاع في هذه المرحلة المبكرة، وأنك كنت مهتمًّا بالمكتبات في حي الأزهر، والحسين، والدرب الأحمر، وكنت تطّلع على السير الشعبية، فهل عاصرت مرحلة (الفتوات)، أو (معارك الفتوات) بين الأحياء التي كتب عنها نجيب محفوظ أيضًا ؟

(●) نعم؛ أعرفهم تمامًا، وهم أصدقائي، وبالمناسبة أعرف (شكوكو)[11]؛ لأنه كان في المنطقة هذه، وتابعت بدايته الأولى، وأحببته جدًّا.

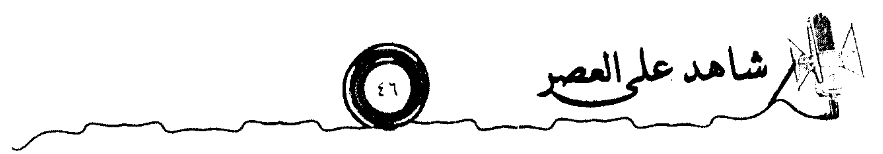
---

(11) محمود شكوكو، (١٩١٢-١٩٨٥): ولد في الدرب الأحمر، واسمه الحقيقي: محمود إبراهيم إسماعيل موسى، فنان ممثل ومطرب مونولوجات مصري قديم.

تقصد محمود شكوكو.

نعم؛ محمود شكوكو كان في شارع في درب (المحروق)، وكان أبوه نجَّارًا، وأذكر له البدايات الأولى، كان -حقًّا- قيمة جميلة صاعدة، وتتبعت صعوده لآخر لحظة، وأنا أتابعه بإعجاب شديد، أما (الفتوات) فأنا أذكرهم، فقد كانوا قوة رائعة رغم الجانب السيئ الذي أبرزه نجيب محفوظ في رواياته، وهذا الجانب موجود بالفعل، أنا أذكر أسرة كانت تسكن أمامنا، هي فقيرة جدًّا، والأب مات، وأرادتِ الأم أن تزوج ابنها، فيتقدم بالتحية لهذا الزواج (فتوة الحي)، يأتي ليقف على رأس المدعوين، فيأتي كل مدعوِّي الحي و (الفتوة) موجود يغني، ويرقص في الليل، وهذا فخر للأسرة، فتفرح الأم، ويفرح العريس البسيط، وتكثر الهبات

مثّل محمود شكوكو في الكثير من أفلام الأبيض والأسود وارتبط بإسماعيل ياسين،حيث اشترك معه كثنائي مونولوجست، وكوّن فرقة خاصة به، كان محمود شكوكو هو الفنان المصري الوحيد الذي صنع له دمى صغيرة على شكله بالجلباب البلدي والقبعة المميزة التي كان يرتديها، توفي سنة١٩٨٥.



التي تُقدَّم لهما، ويصبح ذلك (الفتوة) هو الحماية لهذه الأسرة الفقيرة.

وأصبح المهتم بهذه القضية الذي يضاعف فيها النور الموجود بالنور الذي يشعه هو و(فتواته) المليئة بالحب، والمودة، والحماية لهذه الأسرة.

ما هي مقارنتك بين (الفتوات)، و(بلطجية العصر) الذين يغلقون الشوارع الآن، ويقومون بهذه الأعمال الإجرامية البشعة؟

لا يوجد هنا وجه للمقارنة، فاليوم حدث تفكك في المواطنة الحقيقية، وتفكك في الإحساس بالمواطنة بكل أسف، وأصبح الدافع في القضية هو الربح السهل، والبسيط، والسريع، وليس هذا على نطاق (البلطجية) فحسب، لكنه تجاوزهم إلى المشروعات الاستثمارية التي تبحث عن هذا الربح السريع، وكذلك الصداقة، والتجارة أصبحت تجارة نفعية من أجل الربح السريع، والمنافسة فقط، وكل هذا يؤدي بدوره إلى نكبات،

وكوارث في بعض المسائل، فالتضامن الاجتماعي لم يعد واضحًا، وأحل محله التنافس من أجل الربح.

أيعني هذا أن الفرق بين (الفتوة)، و(البلطجي) هو أن (الفتوة) كان حارسًا، وحاميًا لقيم، وأخلاقيات الحي الذي ينتمي إليه؟

نعم، إلى حد نسبي، فلم يكونوا جميعًا بهذا السلوك.

أما (البلطجي) مدمر لهذه القيم.

لاشك في هذا، بجانب الفردية المطلقة التي يتعامل بها، فقد يكون (الفتوة) لمجموعة بشرية، وحي، أما (البلطجي) لمصلحته الخاصة فقط.

القصص والسير وتأثيرهما على العالم

أنا أعلم أنك في هذه الفترة بدأت تتعمق في قراءتك، واطلاعاتك، فبدأت تقرأ في قصص اللص الشريف، وتتعاقبها

سواء (أرسين لوبين)[١٢]، أو ما شابهه ممن يسرق من الأغنياء، فهل كان هذا جذور بداية تعلقك بفكرة العدل الاجتماعي؟

(●) تعلقت بـ (أرسين لوبين) بمكتبة الجيب التي كانت تصدر في ذلك الوقت، كتاب الجيب كانت قصصًا جميلة لا أعرف -حقيقةً- كل التراث الغربي، وبخاصة بعض مدارسه، وتياراته البوليسية، والرواية البوليسية رواية مهمة جدًّا في البنية القصصية ، لكن في نفس الوقت وجدت هذه البطولات -أيضًا-، وهذا الموقف من أجل العدل في السيرة الشعبية فأذكر (عمر العيار - الأميرة ذات الهمة – عنترة) كل هذا بالفعل من التراث الجميل.

هل حضرت السير الشعبية التي كانت تُحكى في المقاهي؟

---

(١٢) **أرسين لوبين أو اللص الظريف:** شخصية ابتكرها الكاتب الفرنسي موريس لوبلان وقد لاقت روايات أرسين لوبين إقبالًا كبيرًا.

يتميز أرسين لوبين بالنبل والشرف والشهامة فهو لا يهدف من وراء مغامراته إلى الثراء أو كسب المال والانتقام من خصومه انما يكرس حياته للكشف عن الجريمة وتعقب الجناة وتقديمهم للعدالة، وقد تحدى أرسين لوبين أبرز رجال الشرطة والمفتشين في عصره في فرنسا وانجلترا والولايات المتحدة حتى أطلق عليه لقب الرجل ذو الألف وجه.

نعم؛ وما زلت أذكر الرجل الذي كان يجلس متعاليًا في المقهى، ويحكي لنا حكايات (أدهم) مثلًا، والحقيقة لم يكن مجرد راوٍ كما يقال، وإنما كان أقرب إلى التمثيل، أو التشخيص، بمعنى أنه كان يلعب على (الربابة)، وكان يغني، وكان -أحيانًا- يقوم ببعض الحركات في جلوسه عندما يرفع ذراعيه، وهكذا.

فدور الراوي كان شاملًا فيه تشخيص، وأداء فني، فهو قارئ، وراوٍ، ومجسّد للشخصية من خلال ملامح وجهه، وملامح جسده -أيضًا- بما يتفق مع ما يرويه من حكايات، أو مواقف.

بعد السير الشعبية، واللص الشريف، والجذور الأولى أعتقد أنك بدأتَ تتعمق أكثر، وبدأت تتعلق بنظرية(دارون)[13]؟

([13]) **تشارلز روبرت داروين**: عالم حيوان إنجليزي، ولد في إنجلترا في ١٢ فبراير ١٨٠٩ وتوفي في ١٩ أبريل ١٨٨٢ هو عالم تاريخ طبيعي بريطاني اكتسب شهرته كواضع لنظرية التطور، بدأ اهتمام داروين بالتاريخ الطبيعي أثناء دراسته للطب ثم اللاهوت في الجامعة. أدّت رحلته على متن سفينة البيغل والتي دامت خمس سنوات إلى تميّزه كجيولوجي وانتشار اسمه كمؤلّف.



((●)) في هذه الفترة كان (كامل كيلاني)[*] صديقًا، وأخًا لي، وكان له مكتبٌ قريبٌ من بيتنا في حي الشاعر حسن الأكبر بباب الخلق، وكان أخي يأخذني معه إليه، فقرأت كل ما كتبه.

أود أن أشير إشارة بسيطة لكامل كيلاني، إنه رائد أدب الأطفال، والذي أصدر مكتبة كاملة من القصص العالمية، والعربية للأطفال في الأربعينيات، والخمسينيات.

((●)) بالطبع هذا عمل عظيم جدًّا، فنحن ندين لهذا الرجل بالفضل الكبير، فقد أعاد كتابة تراثنا العربي القديم بشكل يستطيع أيُّ طفل بين السادسة، والخامسة عشرة أن يقرأه، واستطاع أن يتحدث -فعلًا- عن منجزات العلم الحديث، وله مكتبة كاملة اسمها (العلم الحديث)، تُقدَّم بها كل مخترعات العلم الحديث في ذلك العصر بأسلوب جميل جدًّا، كما قدم(شكسبير) للأطفال

(*) **كامل كيلاني إبراهيم كيلاني (القاهرة ٢٠ أكتوبر ١٨٩٧ - ٩ أكتوبر ١٩٥٩)**: كاتب وأديب مصري اشتهر بأعماله الموجّهة للأطفال وأطلق عليه النقاد لقب رائد أدب الطفل وترجمت قصصه إلي عديد من اللغات. له من الأبناء رشاد، مصطفى.

ليس هذا فقط، فقد عَرفتُ (أبا العلاء المعري) منه منذ البداية المبكرة، ليس هذا للأطفال فقط، ولكنه قدم كتابًا ميسرًا عنه.

والتقيتَ به لقاءً مباشرًا...

كنت أذهب هناك، وكان يتخذني معيارًا لحسن قراءة كتبه، وأنا أذكر شخصيات كبيرة مثل (الشهبندر) الزعيم الكبير علال الفارسي، وكان يتواجد عدد كبير من الناس في مكتبه، وأنا ذلك الطفل ابن سبع سنين، أو ثمانٍ، فكان يجعلني أقرأ بعض كتبه أمامهم؛ ليثبت القدرة على القراءة، والفهم، ويالها من سعادة كبيرة لي.

العالم و محمود تيمور..

كل هذا بين العشرينيات، والثلاثينيات

يأتي بعد ذلك (محمود تيمور)[١٥]، كان صديق أخي، فقرأتُ له بشكل مبكر، وكان عندي من الجرأة -في يوم من الأيام- أن أرسل إليه برسالة أنتقد فيها بعض قصصه، وأحاول أن أربطها بقصص أخرى، إلى آخر هذا، والتقيت به بعد ذلك، وكان رجلًا على درجة من النبل، والسماحة، والنورانية الداخلية، وعرفت من

---

(١٥) **محمود تيمور**: يُعدُّ أحد الرواد الأوائل لفن القصة العربية، وهو واحد من القلائل الذين نهضوا بهذا الفن الذي شهد نضوجًا مبكرًا على يديه، واستطاع أن يقدم ألوانًا مختلفة من القصص الواقعية والرومانسية والتاريخية والاجتماعية، كما برع في فنون القصة المختلفة.

وُلد محمود أحمد تيمور في أحد أحياء مصر القديمة في ١٦ يونيو ١٨٩٤، ونشأ في أسرة عريقة على قدر كبير من الجاه والعلم والثراء؛ وعُني أبوه منذ سن مبكرة بتوجيهه إلى القراءة والاطلاع، وتنشئته على حب فنون الأدب واللغة.

حصل على جائزة الدولة للآداب سنة ١٩٥٠، وجائزة «واصف غالي» بباريس سنة ١٩٥١، ومُنِح جائزة الدولة التقديرية في الأدب سنة ١٩٦٣ من المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب، واحتفلت به جامعات روسيا والمجر وأميركا، وكرمته في أكثر من مناسبة.

واستمر يواصل رحلة العطاء بالحب والإصرار، حتى تُوفِّي عن عمر بلغ نحو ثمانين عامًا في ٢٥ أغسطس ١٩٧٣، بعد أن أثرى المكتبة العربية والأدب العربي بأكثر من سبعين كتابًا في القصة والرواية والمسرحيّة والدراسات اللغوية والأدبية وأدب الرحلات.

خلاله أخاه (محمد تيمور)[*]، وكان له (تمثيليات) صغيرة، وقد كنت أحفظها عن ظهر قلب، وأقوم بتمثيلها، وفي هذا الجو كانت بدايتي الأولى.

الغريب في هذه السن المبكرة أنك تشير -في مذكراتك- إلى واقعة طريفة جدًّا أنك في هذا الزخم الثقافي، والمعرفي كنت تأخذ شقيقتك، وتذهبان معًا إلى السينما، وتأكلان الفسيخ، أو السردين في عودتكما.

هذا صحيح، ولكن اسمح لي أن أُصحِحَ شيئًا.

تفضل.

(*) **محمد تيمور** (١٨٩٢ - ١٩٢١م): من مؤسسي الأدب القصصي والمسرحي في مصر. سافر إلى باريس لدراسة القانون، غير أنه عاد منها إلى القاهرة مع اشتعال الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤م، وانصرف منذ ذلك الحين إلى كتابة القصص والمسرحيات، متأثرًا فيها بالمذهب الواقعي. اشترك في تأسيس ((جمعية أنصار التمثيل)) ومثلت له على المسرح عدة كوميديات اجتماعية، مثل: "العصفور في القفص" و"الهاوية" وأوبريت "العشرة الطيبة" التي لحنها سيد درويش. وله مجموعة من القصص القصيرة بعنوان ((ما تراه العيون)).

(●) أود أن أصحح كلمة (زَخَم) التي ذكرتَها منذ قليل، فهي كلمة منتشرة، وهذا النطق غير صحيح، والصواب أنها (زَخْم)، والزَّخْمُ هو ترجمة للكلمة الإنجليزية (مومنتل)، المومنتل هي الكتلة في السرعة، أي أن كتلة الشيء تزداد قوتها جدًّا، يزداد زخْمها عندما تتحول إلى سرعة، فالكرة وزنها مثلًا نصف كيلوجرام، وعندما تُلقَى بسرعة يمكن أن تصل إلى مائة كيلوجرام، وهذا هو الزخْم، أما الزَّخَم فهو الدنس.

نحن نعتز كثيرًا، ونشكرك على هذا التصحيح، ونعود إلى الزَّخَم (زخم الفسيخ، والسردين)، فقد كنتَ تحرص على غسل أسنانك جيدًا قبل أن تعود إلى البيت، وكذلك أختك؛ لتضيعوا رائحة (السردين)، لأن والدكما كان يعتقد أن أكل (السردين) حرام.

(●) (الفسيخ في عين من أكل الفسيخ)، هذا كتاب.

(الفسيخ في عين من أكل الفسيخ)!

أبي كان يرى أنه حرام؛ لأنها ميتة، والله تعالى يقول(حرمت عليكم الميتة ...) إلى آخر الآية.

لكن السمك ليس محرمًا.

إن أردت فناقش أبي -رحمه الله-.

أنا أقارن فقط بين التطرف الديني قديمًا، وحاليًا.

أبي كان متطرفًا جدًّا؛ ففي الجمعية الشرعية كان يوجد الشيخ (محمود خطاب)(١٧)، وجماعة من رجال السنة، وكانوا يأخذون الأقوال المقدسة أخذًا حرفيًّا.

---

(١٧) الشيخ محمود خطاب السبكي: ولد في أول يوليو ١٨٥٨م، بقرية سبك الأحد، محافظة المنوفية، وحفظ القرآن في كتاب القرية، وعمل في كثير من أعمال والده في البداية مثل رعي الغنم وسياسة الخيل ونبغ في صيد الأسماك والطيور، كما أهتم بتعلم الفروسية وتدرب على السلاح مثل الرمي بالبندقية، وظلت الرماية من أحب الهوايات إليه حتى آخر حياته، وظل يمارس الزراعة والرعي فترة من حياته حتى حدث التحول الكبير الذي أدي به إلى طلب العلم في الأزهر في سنة ١٢٩٧ هـ أي بعد أن وصل إلى سن كبيرة نسبيًا حوالي" ٢٣ عامًا "، وظل يحصل العلوم الشرعية على مذهب الأمام مالك، وحصل على العالمية سنة ١٨٩٦ م - ١٣١٣ هـ، وأخذ يلقي الدروس بالأزهر الشريف في علوم الفقه والتفسير والحديث، ومن أهم مؤلفات الشيخ كتاب الدين الخالص، وكتاب شرح سنن أبي داوود.

التطرف قديمًا وحديثًا..

ما الفرق بين المتطرفين قديمًا، ومتطرفي هذا العصر.

أنا أرى أن هؤلاء المحدثين ليسُوا متطرفين، بل هم جامدون، وأنا -أحيانًا- أحترم التطرف، فـ(أينشتاين)[١٨] متطرّف لأنه خرج على القائم، خرج على الموجود، وكبار المفكرين المبدعين

وتعد أهم أعمال الشيخ هو تأسيس الجمعية الشرعية في سنة ١٣٣١ هـ - ١٩١٢ م، وقد ترأس الشيخ هذه الجمعية حتى وفاته في ٧ يوليو ١٩٣٣ عن عمر يناهز ٧٥ عامًا.

(١٨) **ألبرت أينشتاين** (١٤ مارس ١٨٧٩ – ١٨ أبريل ١٩٥٥): عالم في الفيزياء النظرية. ولد في ألمانيا، لأبوين يهوديين، وحصل على الجنسيتين السويسرية والأمريكية. يشتهر أينشتاين بأنه واضع النظرية النسبية الخاصة والنظرية النسبية العامة الشهيرتين اللتان حققتا له شهرة إعلامية منقطعة النظير بين جميع الفيزيائيين، حاز في العام ١٩٢١ على جائزة نوبل في الفيزياء.

في العام ١٩٥٥، توفي أينشتاين، وحُرق جثمانه في مدينة «ترينتون» في ولاية «نيو جيرسي» في ١٨ نيسان (أبريل) ١٩٥٥ ونُشر رماد الجثمان في مكان غير معلوم، وحُفظ دماغ العالم أينشتاين في جرّة عند الطبيب الشرعي "توماس هارفي" الذي قام بتشريح جثته بعد موته. وقد أوصى أينشتاين أن تحفظ مسوداته ومراسلاته في الجامعة العبرية في القدس، وأن تنقل حقوق استخدام اسمه وصورته إلى هذه الجامعة.

الذين يبدعون أشياء عظيمة متطرفون في خروجهم على السائد، هؤلاء ليسوا متطرفين.

أما الحاليين إذا لم يكونوا متطرفين، فماذا تسميهم؟

هؤلاء جامدون متعصبون حقيقة، وهناك تطرف بمعنى الشطط، والذهاب بعيدًا، وهم لا يذهبون بعيدًا، إنما يتقهقرون إلى حد الجمود الكامل، وأنا في رأيي أن (جاليليو)[١٩] قُدِّمَ للمحاكمة،

---

(١٩) جاليليو جاليلي (١٥ فبراير ١٥٦٤ - ٨ يناير ١٦٤٢): عالم فلكي وفيلسوف وفيزيائي إيطالي، ولد في بيزا في إيطاليا. نشر نظرية كوبرنيكوس ودافع عنها بقوة على أسس فيزيائية، فقام أولا بإثبات خطأ نظرية أرسطو حول الحركة، وقام بذلك عن طريق الملاحظة والتجربة. كتب كتابا تحدث فيه عن ملاحظاته ونظرياته، وقال أنها تثبت الأرض كوكب صغير يدور حول الشمس مع غيره من الكواكب، وشكا بعض أعدائه إلى سلطات الكنيسة الكاثوليكية بأن بعض بيانات جاليليو تتعارض مع أفكار وتقارير الكتاب المقدس، وذهب جاليليو إلى روما للدفاع عن نفسه وتمكن بمهارته من الإفلات من العقاب، لكنه انصاع لأمر الكنيسة بعدم العودة إلى كتابة هذه الأفكار مرة أخرى، وظل ملتزما بوعده إلى حين، لكنه كتب بعد ذلك في كتاب آخر بعد ست عشرة سنة نفس الأفكار، وأضاف أنها لا تتعارض مع شيء مما في الكتاب المقدس. وفي هذه المرة أرغمته الكنيسة على أن يقرر علانية

وكاد يُقتَلُ لأنَّه كان متطرفًا، لأنه خرج عمَّا هو سائد، وتطرف في رؤيته للأشياء، ذهب بعيدًا، وتجاوز كل ما هو سائد، وأولًا وأخيرًا هو اختلاف في التفسير، فأنا عندما أسمع كلمة تطرف أعتقد أنهم لا يستحقون هذه الكلمة التي قد تحتوي شيئًا جميلًا، لكن هؤلاء لا يذهبون -كما قلت-، إنما يتقهقرون إلى الخلف، يقفون عند حدود جامدة من التفسير الحرفي، ويريدون أن يفرضوا هذا التفسير الجامد على الواقع المتغير، هذا ليس تطرفًا إطلاقًا، وإنما جمود، وتعصب، وجهالة.

أن الأرض لاتتحرك على الإطلاق وأنها ثابتة كما يقول علماء عصره. ولم يهتم جاليليو لهذا التقرير العلمي.

ظل جاليليو منفيًا في منزله حتى وافته المنية في ٨ يونيو ١٦٤٢، وتم دفن جثمانه في فلورانسا. وقدمت الكنيسة اعتذارًا لجاليليو عام ١٩٨٣.

المظاهرات السياسية

نستطيع أن نقول أنك بعد ذلك دخلتَ في مرحلة المظاهرات السياسية، أو أول مشاركة لك في المظاهرات السياسية في بداية الثلاثينيات من هذا القرن.

كانت أول مشاركة لي في المظاهرات السياسية في مرحلة المدارسة الابتدائية.

مبكرًا جدًا.

وهذا ما يدعوني للحياة الحديثة، ولأهمية مشاركة الشارع في السياسة، أنا تعلمت السياسة من الشارع.

كنت في المرحلة الابتدائية، وكنا نخرج -في ذلك الوقت- نهاجم (زيوار باشا) [٢٠] الذي فرضه الملك علينا، في مواجهة الوفد وهو حزب

---

(٢٠) **أحمد زيوار باشا**: كان رئيسًا سابقًا لمجلس الشيوخ المصري، ورئيسًا سابقًا للوزراء في مصر. هو أحمد زيوار ابن زيوار رحمي آغا الجركسي. وُلد العام ١٨٦٤ م في الأسكندرية، مُنحدرًا من أسرة شركسية تركية الأصل، يونانية الجنسية، جاءت إلى الإسكندرية من إقليم «قوله» التابع لليونان.

شغل منصب رئيس مجلس الشيوخ المصري ذي الأغلبية الوفدية. شكّل وزارته الأولى في ٢٤ نوفمبر ١٩٢٤م، واستمر في الحكم حتى ١٣ مارس ١٩٢٥م. جامعًا إلى منصب

الأمة، وكنا نقول: (كنت فين يا زيور، وأمك بتدور عليك)، أو نهاجم (صدقي باشا) الذي فرضه الملك -أيضًا- بشكل معين في مرحلة الثلاثينيات، كنا نهاجمه، ونمشي في الشارع، أو نخرج في مظاهرة وفدية.. الوفد عقيدة الأمة، فأتعلَّمُ من هو الوفد، وأتعلم من هو (زيور)، وآخد موقفًا معينًا من الملكية، والسراي، والتعسف، وأُمارسُ السياسة في الشارع مع عشرات، ومئات الطلبة الذين ينضمون إلينا.

ولهذا حقيقة في رأيي أن جيلي، والجيل الذي بعدي تعلم السياسة بشكل جماعي، لم نتلقَّى معلوماتنا من الجرائد، أو من الإذاعة تلقِّيًا وتلقينًا، ولكن عشناها -في تقديري- بدون تسييس الشارع، وبدون تسييس المجتمع بأن يبدي رأيه بالحركة بالفعل؛ لأن الحقيقة سياسة، بل لن ندعم سياسة الحاكم، ونقف معه في بعض المواقف، أو لن ندعم الاتجاهات الحقيقية في السياسة.

الرئاسة وزارتي الداخلية والخارجية أيضًا. أُعيد تكليفه بتشكيل الوزارة المصرية مرة ثانية. بعد تقديم استقالة وزارته الأولى في ١٣ مارس ١٩٢٥م. واستمر في الحكم حتى ٧ يونيه ١٩٢٦م. عُيِّن رئيسًا للديوان الملكي في ٢٧ أكتوبر ١٩٣٤م. توفي بمسقط رأسه في الإسكندرية عام ١٩٤٥م ودفن فيها.

وأنا في رأيي أن جيل الثلاثينيات، والأربعينيات، بل أزعم أن جيل الأربعينات -بحركته السياسة التي ناضلت ضد ما كان من فساد، وتخلف، واستعمار إنجليزي- هو الذي مَهَّد لقيام الثورة.

تقصد ثورة ٢٣ يوليو[٢١].

ثورة يوليو خرجت من شعارات الأربعينيات، من مظاهرات الأربعينيات حقيقةً، وحملت شعاراتها، ونفذتها بطريقتها الخاصة الغير شعبية، وقد يكون هذا هو مقتلها بعد ذلك، لكن لو حقَّقتْها بطريقتها الشعبية لكانت وصية على الشعب بمفاهيم الشعب، وأهدافه، ولكنها

---

(٢١) **ثورة يوليو:** انقلاب عسكري قام به ضباط جيش مصريون ضد الحكم الملكي في ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وعرف في البداية بالحركة المباركة، ثم أطلق عليها البعض فيما بعد لفظ ثورة ٢٣ يوليو. بعد حرب ١٩٤٨ وضياع فلسطين ظهر تنظيم الضباط الأحرار في الجيش المصري بزعامة اللواء محمد نجيب، وفي ٢٣ يوليو ١٩٥٢ قام التنظيم بانقلاب مسلح نجح في السيطرة على الأمور والسيطرة على المرافق الجويّة في البلاد، وأذيع البيان الأول للثورة بصوت أنور السادات وأجبرت الحركة الملك التنازل عن العرش لولي عهده الأمير أحمد فؤاد ومغادرة البلاد في ٢٦ يوليو ١٩٥٢.

كانت تتحرك باسم الشعب، ولم تتحرك بالشعب نفسه، لتحقق مطالبه في كثير من الأحيان.

هذا بالنسبة لثورة ٢٣ يوليو...

لكنها لم تُحقِّق من خلال المشاركة الفعلية للشعب.

وقبل ذلك كانت الحركات السياسية بالفعل في الثلاثينيات، وفي العشرينيات، وكنت واعيًا في سنة ثلاثين، وأنا عمري ثمانِ سنوات بالضبط، وأذكر مظاهرة قمنا بها في داخل حارتنا في (الأربية) ضد صدقي باشا، وكنا نقول: (يا صدقي يا أبو بابين، وديتي صدقي على فين).

أظن أن هذه المظاهرة هي التي أعتُقل فيها أخوك؟

كان أخي معتقلًا فعلًا في السجن في (أربيدان)، وذهبت لزيارته في (أربيدان) طبعًا قبل أن يأتي لزيارتي بعد ذلك عندما دخلتُه أنا.

بعدها بثلاثين عامًا..

هذا صحيح، وأنا أريد أن أؤكد حقيقة أن في هذه المرحلة كانتِ المظاهرة سياسية، والاعتصام السياسي، والإضراب المطلبي لهذه الفئة أو تلك، وقضايا أخرى مهمة جدًّا، وحيوية في المجتمع.

الأسلوب الشعبي أفضل أسلوب للتعبير عن سخط الشعب على الأوضاع المرفوضة.

أود أن أنتقل نقلة أكبر إلى موقف (نتنياهو)[٢٢]، وأمريكا، وفلسطين.

فأنا منذ فترة أنادي بالوقوف الاحتجاجي على المستوى العربي كله، فلو أستطعنا أن يقف الشارع العربي من طنجة إلى البحرين، خمس دقائق صامتًا بدون حركة، ولو تحركنا بالشعارات، والهتافات لكان أفضل...

صمتًا!

---

(٢٢) **بنيامين نتنياهو (٢١ أكتوبر ١٩٤٩ -)**: رئيس وزراء إسرائيل من ٣١ مارس ٢٠٠٩، وكان قد تولى قبل ذلك رئاسة الوزراء في الفترة من ١٩٩٦ إلى ١٩٩٩. هو عضو في حزب الليكود الإسرائيلي.

نعم؛ صمتًا، أو بشعارات مكتوبة، وبدون هتاف سنفعل شيئا، وأؤكد لك أننا سنكون أقوى من القنبلة الذرية التي يحملونها، فهم لا يخافون شيئًا مثلما يخافون حركة الشعوب.

وأنا أرجع سبب ضعف مفاوضاتنا معهم إلى أنها بدون قاعدة جماهيرية.

فالجماهير موجودة، لكنها غير متحركة، وعليها وصاية، فليس بالبلاغة تكسب قضية، ولا بذكاء الإجابات، ولا بالتهديدات، ولا بالشجب، ولكن بالقوة، وبموازين القوة، إذا لم يكن عندنا موازين قوة صناعية، أو إنتاجية، أو قنابل ذرية؛ فإن القنبلة الكبيرة هي الشعب المتحرك الواعي، الذي يقول كلمته بصراحة، والذي يلهم -وما أكثر حكم الجماهير!- الحاكم ما يقوله أحيانا، ويدعم الحاكم في كلمته، فليست بلاغة الحاكم، ولا ذكاؤه، ولا قدرته على المناورة، كافية إن لم يكن وراءه قوة حركة الجماهير، وأنا أرى أن الحركة الجماهيرية حركة الجيش نفسها، فقد كان من الممكن أن تتحرك في ثورة ٢٣ يوليو، فهل هذا الزَّخْم الكبير لحركة الجماهير السابقة من العشرينيات حتى الآن صراع دائم؟ وهذا ما أفرز -فعلًا- التمهيد الكبير للحركة الأدبية،

والثقافية، والفكرية، وأنا أرى أن أفضل مرحلة من مراحل الإبداع الفكري، والثقافي، والفني، والأدبي بدأ في الأربعينيات.

لماذا؟

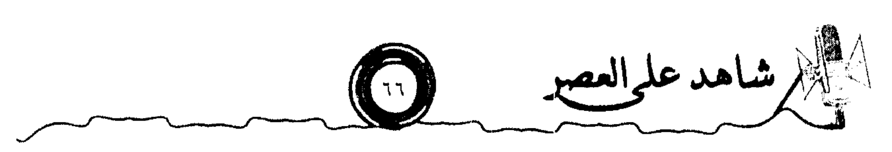
كان يمهد لهذه الحركة التوترُ الاجتماعي الكبير، والنشاط الاجتماعي، والحماس الاجتماعي في الشارع، فأنت لا تتصور مجموع الجمعيات الأدبية التي تشكلت وقتئذ، والهيئات الاجتماعية، والندوات.

أنا مازلت أذكر (توفيق دياب) [٢٢] وهو يخطب في المؤتمر العربي الذي أُقِيم في الفندق المقابل لنادي الجزيرةالآن.

المؤتمر الذي أُقِيمَ من أجل فلسطين.

([٢٢]) **محمد توفيق دياب** (و. ١٨٨٦ - ت. ١٩٦٣): هو صحفي وكاتب ومفكر مصري، كان له دور وطني بارز في مكافحة الاستعمار الإنجليزي. وقد انتخب عضوًا في مجلس النوّاب في دورتي ١٩٣٠ و١٩٣٦ وكانت له إسهامات متميزة في مجال التعليم.

بعد عام ١٩٥٥ اعتزل الحياة العامة واكتفى بنشاطه في المجمع اللغوي بالقاهرة، ثم اصيب بحالة روماتيزم ثم نوبة قلبية وسافر للعلاج في لندن وتوفي يوم عيد الجهاد ١٤ نوفمبر ١٩٦٧ في سن ٧٩ سنة.



مؤتمر فلسطين، وأذكر أني حضرتها وأنا شاب أذهب بـ(شبشبي).

كان الشيخ أمين الحسيني[٢٤] موجودًا.

---

(٢٤) **محمد أمين الحسيني**: رجل دين وسياسة فلسطيني، ولد في القدس عام ١٨٩٥ م، وقيل في ١٨٩٧. لعائلة ميسورة، كان من أفرادها ثلاثة عشر شخصًا تولّوا مناصب إدارية وسياسية في القدس. التحق بالجيش العثماني في صف الضباط لكنه سرعان ما أن عاد إلى القدس؛ لاعتلال صحته بعد ثلاثة أشهر من التخرج فقط.

شارك في العديد من الهيئات والمؤسسات الفلسطينية وتزعم رئاسة عدد كبير من الندوات واللقاءات المهمة.

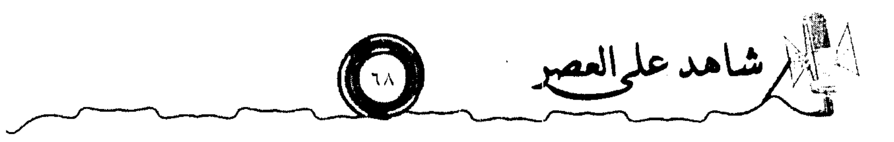
وعندما بدأت خطة عربية بإنشاء كيان بديل للهيئة العربية العليا، وتبدأ بإصدار قرار من جامعة الدول العربية بإنشاء كيان فلسطيني عام ١٩٦٣م، وينشأ الكيان تحت رعاية مصر باسم منظمة التحرير الفلسطينية عام ١٩٦٤م، ويعين رئيسًا له أحمد الشقيري الذي يخضع للتوجهات العربية، وبعد نكسة عام ١٩٦٧م، يبدأ الرجل (أمين الحسيني) من جديد نشاطه من أجل القضية، موضحًا موقفه الثابت أن القضية لن يتم حلها إلا بالجهاد المسلح، ويستمر الرجل في نضاله حتى تُفضي روحه إلى بارئها عام ١٩٧٤م، ولم يجرؤ أحد من القادة الفلسطينيين أن يدعو إلى حل سياسي إلا بعد اختفاء روح المقاتل محمد أمين الحسيني من ساحة القضية الفلسطينية.

الشيخ أمين الحسيني، وخبراء، وكان هناك مترجم عظيم، مثل قضية اللغة، والترجمة أذكر أنهم كان يتكلمون العربية، ومترجم رائع في لحظة يترجم إلى اللغة الإنجليزية، كان بعضهم يتحدث اللغة الإنجليزية فيترجم إلى اللغة العربية، أو العكس.

فالشارع يتحرر في كل مكان، والقضايا العامة العربية أصبحت موجودة في الشارع، والتجمعات الشعبية، وكان هذا أقوى من قُوى العمل، للأسف كانت تُهدر من خلال الأنظمة الرجعية في ذلك الوقت، أما اليوم مع أنظمة مختلفة، وأنظمة قومية حقيقة لو تحرك مع الشارع، وأُأكِّد لك أن الشارع سيحمي مظاهرته.

ستقول لي إن الإخوان، والجماعة المتعصبين ليس من الممكن أن يقوموا بمظاهرة حول قضية فلسطين، ويجرؤ إنسان أن يخرج عليها، لن تجد إنسان في دكانه إلا خرج وأغلقها؛ ليسير في المظاهرة مدافعًا عن قضية فلسطين، ويساند حاكمنا.

رغم شهادتك الحالية لهذا الصف في الأربعينيات، وهذا المد الثوري، وحركة الشارع، والجماهير إلا أنك انفصلت عنها في هذه



الأونة، واعتزلت تقريبًا هذه الجماهير، وأثرت العزلة، وكتابة الشعر، ولعب (الشطرنج)، فلماذا؟

(●) هذه لم تكن عزلة بقدر ما هو انشغال بشيء آخر، فقد انشغلت بالفلسفة عندما دخلت الجامعة، ودخلت قسم الفلسفة، واستغرقتني الفلسفة استغراقًا عمليًّا، كما استغرقني (الشطرنج) سنة كاملة.

أين كنتم تمارسون لعبة (الشطرنج)؟

(●) في كل مقاهي القاهرة، كنت أبحث عن أفضل الناس في ممارسته كي نلعبها معًا، وكنا نلعب بطريقة (اللاين فورد) أي بغير رقعة، ولا قطعة.

ومازلت أذكر جولة كبيرة لعبتها مع (فتحي غانم) [٢٥] في نادي القضاة، وحينما ذهبنا إلى النادي لم نجد قطعة، ولا رقعة فلعبنا بهذه

([٢٥]) **فتحي غانم**: أديب مصري ولد بالقاهرة عام ١٩٢٤ لأسرة بسيطة، وتخرج في كلية الحقوق جامعة فؤاد الأول (القاهرة حاليا) عام ١٩٤٤، وعمل بالصحافة في مؤسسة روزاليوسف ، ثم انتقل إلى جريدة الجمهورية أو مؤسسة دار التحرير رئيسًا لمجلس الإدارة

الطريقة التي بات من الصعب اللعب بها الآن، لكن الحقيقة استغرقني هذا، واستغرقتني الفلسفة، ثم دخلنا على الخمسينيات، وكنت ضد الثورة في بدايتها.

الأحزاب... العمل بالفلسفة

قبل الخمسينيات، وقبل ثورة يوليو في فترة الثلاثينيات كنت معارضًا للوفد[٢٦]، وبحثت عن مقر الأحزاب التي كانت موجودة وقتئذ مثل الأحرار الدستوريين[٢٧]، والحزب الوطني[٢٨]، وأحزاب أخرى كثيرة، ومصر الفتاة[٢٩]، وحتى الإخوان المسلمين[٣٠] ذهبت إليهم.

والتحرير، ثم عاد مرة أخرى إلى روزاليوسف حتى وفاته عام ١٩٩٩ عن خمسة وسبعين عامًا.

(٢٦) **الوفد**: حزب سياسي شعبي ليبرالي، تشكّل في مصر سنة ١٩١٨م، وكان حزب الأغلبية قبل ثورة ٢٣ يوليو المصرية، التي أنهت عهد الملكية، وحوّلت البلاد إلى النظام الجمهوري، ولم يعد الحزب إلى نشاطه السياسي إلا في عهد الرئيس أنور السادات، بعد سماحه للتعددية الحزبية، وقد اتخذ لنفسه اسم حزب الوفد الجديد سنة ١٩٧٨م.

(٢٧) **حزب الأحرار الدستوريين**: حزب مصري أنشأه أعضاء لجنة الثلاثين التي وضعت في عام ١٩٢٢ أول مشروع دستور لمصر المستقلة وفقا لتصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢. وهو الدستور الذي صدر يوم ١٩ ابريل ١٩٢٣ ولذلك سمى بدستور ١٩٢٣.

فعقب فراغ لجنة الثلاثين من وضع مشروع الدستور في سبتمبر ١٩٢٢، قرر أعضاؤها تكوين حزب جديد برئاسة عدلي يكن (باشا) تحت اسم حزب الأحرار الدستوريين تكون مهمته الدفاع عن الدستور. وكان من أبرز أعضائه عند تكوينه مدحت يكن (باشا) ومحمد محمود (باشا) وحسن عبد الرازق (باشا) ومحمد حسين هيكل (باشا) وحافظ عفيفي (باشا). أصدر الحزب جريدة يومية تنطق بلسانه تحت اسم «السياسة». توالى على رئاسة الحزب عدلي يكن (باشا) ومحمد محمود (باشا) وعبد العزيز فهمي (باشا) ومحمد حسين هيكل (باشا). حل الحزب طبقا لقرار مجلس قيادة ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ بحل الاحزاب السياسية في ديسمبر ١٩٥٢.

(٢٥) **الحزب الوطني الديموقراطي:** هو الحزب الحاكم في مصر والمهيمن على الحياة السياسية. أنشأ الحزب الرئيس أنور السادات في عام ١٩٧٨ بعد حل الاتحاد الاشتراكي العربي، وفي يوم ٧ أغسطس ١٩٧٨ اجتمعت الأمانة العامة للحزب الذي يرأسه الرئيس السادات والاتفاق على تسميته بالحزب الوطني الديمقراطي، وتولّى الرئيس الراحل أنور السادات رئاسته حتى اغتياله سنة ١٩٨١. يترأسه منذ ١٩٨١ رئيس الجمهورية حسني مبارك. سنة ٢٠٠٠ تحصل الحزب على ٣٨٨ مقعدًا في مجلس الشعب بإحتساب المستقلين الذين انضموا إلى كتلته بعد الانتخابات. في انتخابات سنة ٢٠٠٥، انخفضت كتلته إلى ٣١١ مقعدا. ينتمي للحزب مليون و٩٠٠ ألف عضو. يصدر الحزب جريدة الوطني اليوم.

(٢٦) **مصر الفتاة:** هي حركة سياسية قومية مصرية بدأت في ١٢ أكتوبر ١٩٣٣ بقيادة أحمد حسين متأثرة بالحركات القومية في تلك الفترة. وظلت طوال عشرين عامًا تحارب الاستعمار والإقطاع والرأسمالية المستقلة ونظام الحكم الفاسد مسترخصين أرواحهم

(●) وقابلتُ (حسن البنا)[٣١]، ودهشت كثيرًا عندما رأيته يتكلم في حديث ديني، وفي نفس الوقت يرتدي (الطربوش)، ولكنه كان ذا شخصية وذا مهابة، لكني لم أقتنع.

ودمائهم وحرياتهم وأرزاقهم في سبيل تحقيق ما آمنوا به ولم السبط من عزائمهم السجون والمعتقلات. وقد ادعت الحركة بعد نشأتها أنها حركة إسلامية وعمدت إلي مهاجمه الحانات في القاهرة وتدميرها في عمليات تم تغطيتها من قبل الصحف المصرية في هذا الوقت. أتخذ مؤسس الحركة أحمد حسين لنفسه لقب الزعيم تشبها بهتلر وموسوليني، وارتدت جماعته القمصان الخضراء، وكانوا يرفعون أيديهم إلى أعلى للتحية على طريقة الفاشست زاعمين أنها تحية قدماء المصريين، أخذها الرومان عنهم، ثم أخذها الفاشست عن الرومان، وكانوا إذا تقابلوا لا يتبادلون السلام المعتاد وإنما يحيى بعضهم بعضا بقولهم ((الله أكبر والمجد لمصر يا أستاذ)) فيرد عليهم بقوله ((مصر فوق الجميع يا أستاذ)).

([٣٠]) **الإخوان المسلمون**: هي جماعة إسلامية، تصف نفسها بأنها «إصلاحية شاملة». تعتبر أكبر حركة معارضة سياسية في كثير من الدول العربية، خاصة في مصر، أسسها حسن البنا في مصر في مارس عام ١٩٢٨م كحركة إسلامية، وسرعان ما انتشر فكر هذه الجماعة، فنشأت جماعات أخرى تحمل فكر الإخوان في العديد من الدول، ووصلت الآن إلى ٧٢ دولة تضم كل الدول العربية ودولًا إسلامية وغير إسلامية في القارات الست.

([٣١]) **حسن أحمد عبد الرحمن محمد البنا الساعاتي (١٤ أكتوبر ١٩٠٦ - ١٢ فبراير ١٩٤٩م) (١٣٢٤هـ - ١٣٦٨هـ)**: مؤسس حركة الإخوان المسلمين سنة ١٩٢٨ والمرشد الأول للجماعة، ولد في عام ١٩٠٦، أخذ التصوف عن الشيخ عبد الوهاب الحصافي شيخ الطريقة

وذهبت بعدها لأني كنت منشغلًا بمعركة في مدرسة الحلمية، فأنا كنت ضد اتفاقية ٣٦ [٣٢]، ومعي مجموعة قليلة من أصدقائي -لم تتجاوز الخمسة أفراد- ضد الاتفاقية، تعتبر فيها أشياء ناقصة، والإنجليز

الحصافية الشاذلية في عام ١٩٢٣، -حيث كان للشيخ الحصافي أثر كبير في تكوين شخصية البنا. تخرج في دار العلوم عام ١٩٢٧. عين مدرسًا في مدينة الإسماعيلية عام ١٩٢٧. أسس جماعة الإخوان المسلمين في مصر عام ١٩٢٨. نقل إلى مدينة قنا بقرار إداري عام ١٩٤١. ترك مهنة التدريس في عام ١٩٤٦ ليتفرغ لإدارة جريدة الشهاب، اغتيل في ١٢ فبراير عام ١٩٤٩.

(٣٢) **اتفاقية ١٩٣٦**: هي معاهدة وقعت عام ١٩٣٦ بين بريطانيا ومصر. عندما صدر بيان الحكومة بوفاة الملك فؤاد وارتقاء ابنه الملك فاروق العرش تم تعيين مجلس وصاية نظرًا لصغر سنه، ثم شكّل حزب الوفد الوزارة نظرًا لفوزه في الانتخابات البرلمانية، وطالب بإجراء مفاوضات مع بريطانيا بشأن التحفّظات الأربعة، ولكن الحكومة البريطانية تهرّبت فقامت الثورات وتألّفت جبهة وطنية لإعادة دستور ١٩٢٣ بدلًا من دستور ١٩٣٠ ولذلك اضطرت بريطانيا للتراجع واضطرت للدخول في مفاوضات بقيادة السير مايلز لامبسون المندوب السامي البريطاني ومعاونيه وهيئة المفاوضات المصرية المصرية، ولقد اشترطت إنجلترا أن تكون المفاوضات مع كل الأحزاب حتى تضمن موافقة جميع الأحزاب وبالفعل شاركت كل الأحزاب عدا الحزب الوطني الذي رفع شعار (لا مفاوضة إلا بعد الجلاء). وبدأت المفاوضات في القاهرة في قصر الزعفران في ٢ مارس وانتهت بوضع معاهدة ٢٦ أغسطس ١٩٣٦ في لندن.

استغلوا (النحاس باشا)[٣٣] في بعض النقاط، فوقفنا ضدها، المدرسة كلها كانت وفديَّةً، واعتدوا علينا لولا أن ناظر المدرسة ساعدنا على الخروج من المدرسة، فبدأنا نبحث عن أحزاب تعبر عمَّا بداخلنا من أفكار تختلف عمَّا هو سائد.

قُبلنا في الأحرار الدستوريين، وكان(أمين صفوت) صديقي، وكان خطيبَ المدرسة، ومن أبلغ خطبائها، وعُوملنا معاملة سيئة في الأحرار الدستوريين؛ لا أعرف لماذا.. قد يكون لصغر سننا، وفي اجتماع للحزب الوطني، وهو يتحول إلى حزب جديد، كانوا يبحثون له عن تسمية جديدة، فجلسنا في اللقاء فإذا ببعضهم يقترح اسم "حزب

---

(٣٣) **مصطفى محمد سالم النحاس**: (١٨٧٩ - ١٩٦٥): سمنود الغربية. أحد أبرز السياسيين المصريين. تولى منصب رئيس وزراء مصر في ١٩٢٨، ١٩٣٠، بين ١٩٣٦ و١٩٣٧، ومن ١٩٤٢ حتى ١٩٤٤، أخيرًا بين ١٩٥٠ و١٩٥٢. ساعد على تأسيس حزب الوفد وعمل زعيمًا له من ١٩٢٧ إلى ١٩٥٢، عندما تم حل الحزب. ساهم كذلك في تأسيس جامعة الدول العربية وكان رئيسًا للوزراء لبضعة أشهر في ١٩٢٨ بعد الاصطدام مع الملك فؤاد بسبب رغبته في الحد من سلطات الملك.

البازي" نسبة لطائر الباز(٣٤)، تقليدًا للحزب النازي(٣٥)، وهم لا يدركون أن كلمة نازي عبارة عن الحروف الأولى من الحزب الوطني الاشتراكي.

اختصارًا للاسم.

---

(٣٤) **طائر الباز**: هو صقر كبير الحجم وقوي يبلغ طوله ٣٨ سم وعرض جناحيه ١٠٢ سم، قصير الذيل نسبيًا ولونه أزرق - رمادي في أعلاه مع زرقاء في قمة رأسه. وشارب أسود واضح يتباين مع وجهه الأبيض.

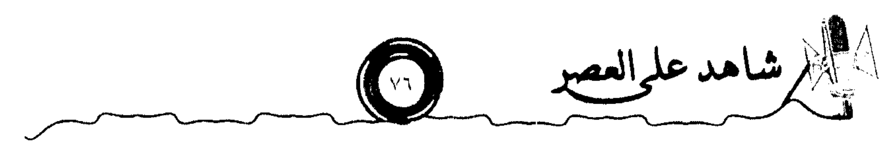
(٣٥) **الحزب النازي أو القومية الإشتراكية (الإجتماعية)**: حركة متطرفة معادية للديموقراطية العالمية وللسامية وللشيوعية، فهي حركة سياسية تأسست في ألمانيا بعد الحرب العالمية الأولى. تمكن المنتمون للحزب القومي الإشتراكي العمالي الألماني: تحت زعامة آدولف هتلر من الهيمنة عام ١٩٣٣ على السلطة في ألمانيا وإنشاء نظام دكتاتوري مطلق (استبدادي مطلق) ماسمي بدولة الزعيم والمملكة الثالثة. التي أثارت الحرب العالمية الثانية وإرتكبت المحرقة (الهولوكاوست) بحق اليهود والغجر والمعاقين. (بعض هؤلاء خصوصا المعاقين والعاديين من قصار القامة أو المرضى بمرض وراثي أستخدموا قبل حرقهم في التجارب الطبية) ما زالت هذه الأفكار والأهداف موجودة في عقائد وأنظمة بعض الأحزاب والمجموعات اليمينية وتسمى Neonazismus اليوم بالنازية الجديدة (القومية الجديدة).

اختصارًا، فهم يُقلِّدون هتلر في ذلك الوقت الذي كان أسطورة في مصر في هذه الفترة، لكني اختلفت مع (أمين صفوت)، وخرجنا بالفعل، وأذكر في هذه المرحلة -رغم صغرنا- كنا في الصف الثالث الثانوي كوَّنَّا حزبًا، أو جمعية اسمها "المجد الفرعوني"، وقمنا بعمل دستور، وكتبت في مذكراتي أن البند الوحيد الذي مازال في ذهني حتى الآن هو أن نحتفل كل سنة، ونقيم حفلًا نأكل (الجاتوه)، ونشرب (الشاي).

وأذكر -أيضًا- صديقًا لي اسمه الجوهري، كان يسكن بجوار القلعة، وكنا نجتمع لنختار بين القميص الأزرق وهو قميص الوفد، والقميص الأخضر وهو (أحمد حسين)، لكني كنت بعيدًا عن هذا حقيقةً، لانشغالي بالفلسفة والفلاسفة، وبخاصة الفيلسوف الذي ملك عليَّ ذاتي، ونفسي في ذلك الوقت وهو (نيتشه)[٣٦].

---

(٣٦) **فريدريك فيلهيلم نيتشه (١٥ أكتوبر، ١٨٤٤ - ٢٥ أغسطس، ١٩٠٠)**: فيلسوف وشاعر ألماني، كان من أبرز الممهدين لـ علم النفس، وكان عالم لغويات متميزًا. كتب نصوصًا وكتبًا نقدية حول المبادئ الأخلاقية، والنفعية، والفلسفة المعاصرة، المادية، المثالية الألمانية، الرومانسية الألمانية، والحداثة عُمومًا بلغة ألمانية بارعة. يُعد من بين الفلاسفة



نيتشه؛ فيلسوف القوة، والإرادة.

حقًّا فيلسوف القوة، والإرادة، إذ يقول: (ابنِ، وابعث بسفنك إلى البحار المجهولة، ابنِ بيتك فوق قمة جبل في (زروف)، عش في خضر)

الأكثر شيوعًا وتداولًا بين القرّاء. كثيرًا ما تفهم أعماله خطأ على أنها حامل أساسي لأفكار الرومانسية الفلسفية والعدمية ومعاداة السامية وحتى النازية لكنه يرفض هذه المقولات بشدة ويقول بأنه ضد هذه الاتجاهات كلها. في مجال الفلسفة والأدب، يعد نيتشه في أغلب الأحيان إلهام للمدارس الوجودية وما بعد الحداثة. روج لافكار توهم كثيرون أنها مع التيار اللاعقلاني والعدمية، استخدمت بعض آرائه فيما بعد من قبل أيديولوجيي الفاشية. رفض نيتشه الأفلاطونية والمسيحية الميتافيزيقيا بشكل عام، ودعا إلى تبني قيم جديدة بعيدًا عن الكانتية والهيغيلية والفكر الديني والنهلستية. سعى نيتشه إلى تبيان أخطار القيم السائدة عبر الكشف عن آليات عملها عبر التأريخ، كالأخلاق السائدة، والضمير. يعد نيتشه أول من درس الأخلاق دراسة تأريخية مفصلة. قدم نيتشه تصورًا مهمًّا عن تشكل الوعي والضمير، فضلًا عن إشكالية الموت. كان نيتشه رافضًا للتمييز العنصري ومعاداة السامية والأديان ولاسيما المسيحية لكنه رفض أيضًا المساواة بشكلها الاشتراكي أو الليبرالي بصورة عامة.

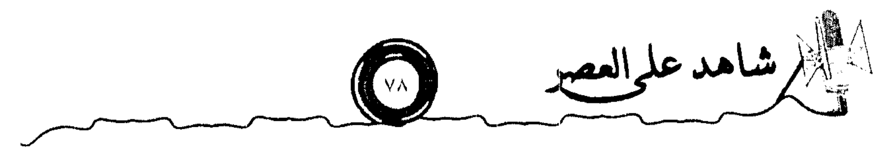
لم تكنِ الوحيد المتأثر بفلسفة القوة، وعبادة الأبطال، وإنما كان -أيضًا- أحد التيارات القوية جدًّا المؤثرة على الساحة المصرية، والعربية في الثلاثينيات، والأربعينات.

نعم، كنت -مصدافة- أتصفح الأعداد القديمة لمجلة الرسالة التي كانت موجودة عند أخي، وجدت (فليكس فارس)[٣٧] مترجم (هكذا تكلم زرادشت)[٣٨].

---

(٣٧) **فليكس بن حبيب فارس**: أديب وشاعر ولد في صليما (لبنان) سنة ١٨٨٢ من أب محام دكتور في الحقوق وأم مثقّفة هي لويز شفاليه لأم سويسرية وأب فرنسي. والده كان كاتبًا معارضا وينشد الحريه والإصلاح ما أغضب الدولة العثمانية ، فاضطهدته. فسافرإلى مصر حيث أصدر مجلّة "صدى الشَّرق" سنة ١٨٨٩ م.و كان لثقافة والده العربيّة كما كان أيضا لثقافة أُمِّه الفرنسّية تأثيرا كبيرا علي فيليكس. كان فليكس فارس يسعى للتقّريب وشّدِ الأواصر بين الأديان وكُرهِ التعصُّب فأحبّه المسلمون والمسيحيّون على حدّ سواء وأعجبوا بحُسن بيانه وبهيّ طلعتِه.توفي في ٢٧ يونيو ١٩٣٩ بمصر على إثر مرض أصابه، ونقل جثمانه إلى لبنان في ١٢ يوليو من السنة ذاتها.

(٣٨) كتاب «**هكذا تكلم زرادشت**»: من أهم أعمال الكاتب والفيلسوف الألماني الشهير فريدريك نيتشه وهو بالتأكيد من أكثر الكتب شعبية وإثارة للجدل. فرغم أن هذا الكتاب لقد كتب بأسلوب بسيط قريب إلى قلوب القراء إلا أن عمق التفكير الفلسفي وشمولية القضايا التي يناقشها جعلت منه عملًا جديرًا بالقراءة المتعمّقة.



نعم؛ وهكذا تحدث زرادشت.

وتحدث -أيضًا- عن الإنسان الذي يسير على حبل على الهوية، والبحث عن الإنسان الأعلى، والاتجاه إلى الإنسان الأعلى، ورفض الرؤية المسيحية للضعف، والرؤية المسيحية لمحبة الآخرين المتمثلة في مقولاتهم مثل (عش في خضر)، (إذا مت إني لا أحب ضعفاء) إلى آخر هذا الأمثال، لكن كانت المشكلة الحقيقية هي البحث عن الذاتية في مجتمع مستعمر، مجتمع متهالك، مجتمع لا يجد طريقًا للتعبير عن نفسه، كان (نيتشه) في لحظة من اللحظات هو الحل، و(أحمد حسين) كان قريبًا جدًّا من (نيتشه)، بل وأقرب إلى (هتلر)، لكنني كنت بعيدًا عن هذا، وقريبًا إلى الفلسفة، كنت مع (نيتشه)، ومع التصوف الإسلامي الفكري، وليس الفلسفي الذي عرفته بعد ذلك، والغريب أن (نيتشه)

لقد صاغ نيتشه أفكاره الفلسفية في قالب ملحمي وبلغة شعرية حرصت المترجمة ربما علاء الدين إلى إظهار جمالياتها ودقة معانيها لإخراج هذا العمل في طبعة عربية متميزة. قدم نيتشه في كتابه هكذا تكلم زرادشت مقاربة للفضائل الإنسانية كما يراها إلا أنه أخذ عليه تمجيده للقوة حيث يعد نيتشه من أوائل من صاغوا نظرية الرجل الخارق أو (السوبرمان) إذا جاز التعبير.

تحدث كثيرًا عن سيدنا محمد، فوصفه بأسد الصحراء، وكان يمجده، ويتحدث عنه أحاديث غريبة، وجليلة.

سبحان الله!!

لكن ما الذي نقلني نقلة غريبة -بعد ذلك- إلى (هيكل)، وهي رؤية الفكر متجسدًا في الواقع، والواقع تجسيد للفكر، وللرؤية المثالية البحثية، وهذا ما واجهني -عندما دخلت الجامعة- بمشاكلَ معقدة، وبدأت أجهز لرسالة جديدة للماجستير في البداية، وفكرت في قضية في هذا الاتجاه المثالي، إن الواقع ما هو إلا مثال للفكر، الفكر الإنساني هو الأساس، أو الفكرة المطلقة على رأي (هيكل) هي أساس الواقع الموضوعي المادي، وهكذا فالعلم الفيزيقي الموجود هو تجسيد للفكرة الإنسانية، ووقع في يدي في ذلك الوقت بعض الكتب لعلماء فيزياء كبار، هم يقولون كلامًا قريبًا من هذا الكلام، فبدأت أُعِدُّ بحثًا أكشف فيه الأساس الذاتي المثالي للعلم الحديث، العلم غير موضوعي، ذاتية الإنسانية هي التي تكشف لي، وهي التي تقيم هذه التجليات المادية، تجليات التجسيد لفكري، وأذكر مثلًا لطيفًا جدًّا قرأته في ذلك الوقت أن أحد العلماء أصحاب هذا الاتجاه قالوا: ما هو العلم؟ نحن

في القرن العشرين نبحث في الحقيقة، فعلى شاطئ المجهول وجدنا آثار أقدام، قلنا إذن أكتشفنا قرن الموضوع، وحاولنا أن نقيم نظريات على هذا الآثر الذي وجدناه، وأقمنا النظرية، واتسعت النظرية وكبرت، ونظرنا في النظرية فإذا بنا نحن أساس الواقع الموضوعي، إذن أنا الذات أساس الواقع الموضوعي.

التهبت حماسًا، وعملت طوال أربع، أو خمس سنوات كي أنهي الرسالة عن المصادفة، المصادفة بالمعنى الذاتي، وبعد ذلك وجدت اسم (ماتيراليزم) الرجل الذي حول حياتي تحويلًا خطيرًا جدًّا، ووجدت – أيضًا– المادية والنقد التجريبي لـ(بلاديمير التشيلني)، كتاب لنين، وهو كتاب علمي خالص.

قلب حياتك رأسًا على عقب.

أدخلني في جو جديد، وحياة مليئة بالأحداث، وغيَّر حياتي كلها بالفعل.

الجماعات السرية

هل هذا هو الوقت الذي بدأت فيه في الانضمام إلى الجماعات السرية؟

لا؛ بعد ذلك بفترة، لأني تفرغت فترة للتأمل، شُغِلتُ بـ(لنين)، و(ماركس)، ماركس الذي استطاع أن يستند العَالِمُ إلى فكره، وكذلك كتاب (لنين) كان يستلهم الفكرة المركسية المادية الجدلية ليناقش العلم الفيزيائي، بالفعل كان كتابًا موضوعيًّا جدًّا، وتبنيت المركسية على هذا الأساس، وقدمت رسالتي دفاعا عن العلم، حتى لم أكن أذكر الماركسية أو الجدلية.

ممنوع.

كنت أتحدث باسم التكاملية بدلاً عن الجدلية، حتى نشرت الكتاب باسم (فلسفة)، و رسالتي باسم (رسالة المصادفة)، وقد أعترفت صراحة أننا سنجد انحرافًا في كتابتي؛ لأنني لم أكن صريحًا بشكل كافٍ نتيجة للظروف المحيطة بي في ذلك الوقت، وكنت أتكلم عن التكاملية وهي الجدلية، ولعل هذا ما أدَّى إلى بعض النقص في بعض النتائج التي توصلت إليها.

وهكذا بدأت الرسالة وبعدها عُيِّنتُ في الجامعة مدرسًا في قسم الفلسفة، وصرت من المشهورين طبعًا؛ لأني تبنيت المركسية، وبحثت فيها.

ودخلتَ تنظيمات بعد ذلك.

بالفعل؛ لأني كنت على معرفة بهم، وكنت أقابلهم لكي أسخر منهم، وأقول لهم: أنتم ماديُّون، وأصحاب تلك الرؤية المادية القصيرة، الجافة التي لا تدرك إنسانية الإنسان، وكنت أقرأ -في ذلك الوقت- عن (المثالية الهيجالية) لـ(عبد الرحمن بدوي[٣٩]) في وجوديتي أو فكرة وجودي، ورغم هذا رأيت أنه ليس وجوديًّا حقيقيًّا؛ وقد ذكرت رسالته -في كتابي عن الزمن الوجودي- حول الوجودية إلى مقبولات، وأَعتبرُ الوجودية هذه تجربة حية، لا يمكن أن أضعها في مقبولات مغلقة،

([٣٩]) د. عبد الرحمن بدوي: (٤ فبراير ١٩١٧ - ٢٥ يوليو ٢٠٠٢ القاهرة) أحد أبرز أساتذة الفلسفة العرب في القرن العشرين وأغزرهم إنتاجًا، إذ شملت أعماله أكثر من ١٥٠ كتابًا تتوزع ما بين تحقيق وترجمة وتأليف، ويعتبره بعض المهتمّين بالفلسفة من العرب أول فيلسوف وجودي مصري، وذلك لشدة تأثره ببعض الوجوديين الأوروبيين وعلى رأسهم الفيلسوف الألماني مارتن هايدجر.

ونسقٍ مغلقة، وبالتالي أعتبر أن وجودي ناقص. كما أن (لويس عوض)[٤٠] الاشتراكي ناقص، فكنت أبحث عن شيء آخر، وهذا الكتاب ساعدني على كثيرًا في هذا البحث، والفضل يرجع لرجل ليس ماركسيًّا، ولكنه كان عالمًا جليلًا وهو (يوسف مراد)[٤١].

---

(٤٠) **لويس عوض**: (١٩١٥ – ١٩٩٠): مُفكّر ومؤلّف مصريّ وُلد في المنيا عام ١٩١٥. نال ليسانس الآداب، قسم الإنجليزية بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف عام ١٩٣٧. وحصل على ماجستير في الأدب الإنجليزي من جامعة كامردج سنة ١٩٤٣ ودكتوراة في الأدب من جامعة بريستن عام ١٩٥٣ وعندما حصل على هذه الشهادات عمل مدرسًا مساعدًا للأدب الإنجليزي ثم مدرّسًا ثم أستاذًا مساعدًا في قسم اللغة الإنجليزية، كلية الآداب، جامعة القاهرة (١٩٤٠ – ١٩٥٤م) ثم رئيس قسم اللغة الإنجليزية، عام ١٩٥٤م وقام بالأشراف على القسم الأدبي بجريدة الجمهورية عام ١٩٥٣م. نال جائزة الدولة التقديرية في الآداب عام ١٩٨٨.

(٤١) **الدكتور يوسف مراد**: من أبرز علماء النفس العرب. ولد بمدينة القاهرة في ٢٨ ديسمبر ١٩٠٢م. حصل على البكالوريا، قسم أدبي سنة ١٩٢١م، وعلى البكالوريا قسم علمي سنة ١٩٢٥م. عمل موظفًا في وزارة المالية ومصلحة الصحة العمومية ومدرسًا للمرحلة الابتدائية. التحق بكلية الآداب، جامعة القاهرة في أكتوبر ١٩٢٦م. وتخرّج في قيم الفلسفة في مايو ١٩٣٠م. وحصل على الدكتوراة في فبراير ١٩٤٠م. أسس مدرسة مستقلة في علم النفس عرفت باسم مدرسة علم النفس التكاملي.

وهل التقيت في قسم الفلسفة بكلية الآداب -وقتئذ- بهذه المجموعة العظيمة من المفكرين مثل (يوسف مراد)، و(أحمد أمين)(١٢)، و(عبد الرحمن بدوي).

نعم؛ وعبد الرحمن بدوي كنا نطلق عليه لقب (العميد).

كان عظيمًا، يستحق هذا اللقب.

بالفعل، و(طه حسين) كنت أترك قسم الفلسفة، وأحضر له، وألتقيت به بعد ذلك.

---

(١٢) **أحمد أمين**: أديب ومفكّر ومؤرّخ وكاتب مصري، ولد بالقاهرة سنة ١٨٧٨م واستطاع بعد محاولات أن يخلع هذا الزي، ثم عمل مدرسًا بمدرسة القضاء الشرعي سنوات طويلة، ثم جلس على كرسي القضاء ليحكم بين الناس بالعدل، فصار العدل رسمًا له إلى جانب رسمه، ثم أصبح أستاذًا بالجامعة، فعميدًا رغم أنه لا يحمل درجة الدكتوراة، ثم تركها ليساهم في إنشاء أكبر مجلتين في تاريخ الثقافة العربية هما: "الرسالة"، و"الثقافة"، ثم بدأ رحلة من البحث والتنقيب في الحياة العقلية للعرب، فجاء بعد عناء طويل بـ"فجر الإسلام" و"ضحى الإسلام" و"ظُهر الإسلام".

أصيب قبل وفاته بمرض في عينه، ثم بمرض في ساقه فكان لا يخرج من منزله إلا لضرورة قصوى، ورغم ذلك لم ينقطع عن التأليف والبحث حتى توفاه الله في (٢٧ رمضان ١٣٧٣ هـ= ٣٠ مايو ١٩٥٤م) فبكاه الكثيرون ممن يعرفون قدره. ولعل كلمته: "أريد أن أعمل لا أن أسيطر" مفتاح هام في فهم هذه الشخصية الكبيرة.

هل حضرت (صالونه) الخاص.

نعم؛ وزرته في بيته أنا، و(يوسف شاروني)[١٣]، وصديقنا (مصطفى سويف)، ولنا لقاء مشهور معه في بيته.

السجن، والفصل من العمل

هل أدَّى انضمامك إلى التنظيمات السرية اليسارية في ذلك الوقت إلى سجنك؟

---

(١٣) يوسف الشاروني: هو كاتب قصة وناقد مصري. ولد في ١٤ أكتوبر ١٩٢٤، حصل على ليسانس الآداب قسم الفلسفة - جامعة القاهرة عام ١٩٤٥. أُحيل على المعاش وكيلًا لوزارة الثقافة، كان رئيسًا لنادي القصة بالقاهرة من ٢٠٠١ إلى ٢٠٠٦ ثم رئيس شرف النادي. عضو لجنة القصة بالمجلس الأعلى للثقافة. ولجنة الأدب بمكتبة الإسكندرية. كان عضوًا في هيئة تحرير مجلة المجلة بالقاهرة واستاذًا غير متفرغ للنقد الأدبي في كلية الإعلام بجامعة القاهرة من عام ١٩٨٠ - ١٩٨٢. عمل في سلطنة عمان كمستشار ثقافي من ١٩٨٣ إلى ١٩٩٠.

أقام المجلس الأعلى للثقافة في ديسمبر ١٩٩٩ حفل تكريم بمناسبة عيد ميلاده الماسي شارك فيه عدد من الأدباء والأصدقاء والتلاميذ والنقاد واختتم بعرض فقرة درامية مستوحاه من سيرته الذاتية بمصاحبة فرقة الآلات الشعبية.

(●) نعم؛ دخلت السجن، وفي نفس الوقت عُيِّنتُ مدرسًا، وبعد ذلك علمت أني فصلت من الجامعة، ولم أُفصَل وحدي، فمع قيام الثورة أردت أن تخرج من الجامعة كلُّ الأطراف المعادية لها فكريًّا.

فاستُبعِدَ حوالي أربعة وخمسين شخصًا، أو يزيدون، كانوا من الماركسيين، أو الوفديين، أو الإخوان المسلمين.

هل تجول الدكتور (وحيد رأفت) -رحمه الله- على الجامعات المصرية ليدعو إلى عودة الملكية في سنة ٥٤؟

(●) لا أعرف أحدذ هذا أم لاْ، لكني أتذكر بشكل غامض جدًّا أنه كان من الذين يدعون إلى هذا.

لكن انتهى المطاف بك أنت والدكتور (لويس عوض) إلى الخروج من الجامعة مطرودين، أو مفصولين على وجه أدق.

(●) هو كان في قسم اللغة الإنجليزية، وأنا في قسم الفلسفة، وكان عميد الكلية -في ذلك الوقت- رجل رائع، وجميل هو الدكتور (يحيى خشاب)، زوج (سهير القلماوي)[١١]، وأذكر أننا كنا في فصل

---

(١١) **سهير القلماوي**: كاتبة ومفكرة مصرية، وهي أول فتاة تلتحق بالجامعة في مصر، وعرفت كتلميذة مخلصة للدكتور طه حسين. ولدت في ٢٠ يوليو ١٩١١، لأب كردي

الصيف، ودعاني ولم أعرف لم الدعوة، فذهبت فوجدته، والدكتور (لويس عوض)، وكانا يقفان حزينين، لم أدري ما السبب، وإذ بالدكتور (يحيى خشاب) يبلغني حزينًا آسفًا بقرار فصلهما، وأخذنا لويس عوض

يعمل طبيبًا في مدينة طنطا وأم شركسية، حصلت على البكالوريا من مدرسة (كلية البنات الأمريكية)، وفي عام ١٩٢٩ كانت أول فتاة تلتحق بجامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة حاليًا)، حيث التحقت بكلية الآداب التي كان عميدها طه حسين، واختارت قسم اللغة العربية الذي كان يرأسه، حيث كانت البنت الوحيدة بين ١٤ زميل من الشباب في قسم اللغة العربية بكلية الآداب وكانت تتفوق عليهم.

تولت منصب أستاذ الأدب العربي الحديث بكلية الآداب عام ١٩٥٦، ثم منصب رئيس قسم اللغة العربية (١٩٥٨ - ١٩٦٧). كما تولت الإشراف على (دار الكتاب العربي)، ثم الإشراف على مؤسسة التأليف والنشر في الفترة من (١٩٦٧-١٩٧١)، أسهمت في إقامة أول معرض دولي للكتاب بالقاهرة عام ١٩٦٩ والذي يشمل على الأخص جناحا خاص بالأطفال وهو ما استمر بعد ذلك ليصبح فيما بعد المعرض السنوي لكتب الطفل، في عام ١٩٧٩ أصبحت عضوًا بمجلس الشعب عن دائرة حلوان، وشاركت في عضوية مجلس اتحاد الكتاب، واختيرت عضوًا بالمجالس المصرية المتخصصة. مثلت مصر في العديد من المؤتمرات العالمية. حصلت على جائزة الدولة التقديرية في الآداب سنة ١٩٧٧.

توفيت سهير القلماوي في ٤ مايو ١٩٩٧.

لنخفف عنه الأمر، ونقول له: لا شيء سنواصل طريقنا على هذا، ولعل الأمر يكون مؤقتًا.

وخرجت أنا و(لويس عوض)، وكانت الجامعة فارغة في الصيف، لا أحد فيها، وأخذنا نسير إلى (ميدان الجيزة)، نتأمل ماذا نفعل؟

هل كنت متزوجًا في ذلك الوقت؟

نعم؛ كنت متزوجًا، وعندي طفلة.

المسؤولية مضاعفة إذن.

كانت مضاعفة، وإلى جانب هذا كنت مشتركًا في مشروع، وكنت قد أنهيت رسالة المصادفة، وفي الوقت الذي فصلت فيه من الجامعة مُنحت جائزة الشيخ (مصطفى عبد الرازق)[٥٥] كأحسن رسالة، وهذه الرسالة -فعلًا- كانت أغرب ما يكون، وأنا أقول في بداية

---

[٥٥] **الشيخ مصطفى عبد الرازق**: شيخ الجامع الأزهر الشريف، ومجدد للفلسفة الإسلامية في العصر الحديث، وصاحب أول تاريخ لها بالعربية، ومؤسس المدرسة الفلسفية العربية التي أقامها على الإسلام. تولى الشيخ مصطفى عبد الرازق وزارة الأوقاف ثماني مرات، وكان أول أزهري يتولاها، واختير شيخًا للأزهر في ديسمبر ١٩٤٥ (محرم ١٣٦٥هـ).

مناقشة الدكتور (زكي نجيب محمود) (*) أنه قال لي: هذه رسالة دكتوراة، وليست رسالة ماجستير، وكانتِ المناقشة جيدة جدًّا، فالبحث -فعلًا- جيد، ومازال له قيمته -على ما أعتقد- رغم ما أصابه من تواضع زائد.

(*) زكي نجيب محمود (١ فبراير ١٩٠٥ - ٨ سبتمبر ١٩٩٣م): مفكر وفيلسوف مصري. ولد في قرية ميت الخولي، دمياط، وحصل على الدكتوراة في الفلسفة من لندن. وعين مستشارًا ثقافيًا للسفارة المصرية في واشنطن، وعضوًا في المجلس القومي للثقافة. وصف ياقوت الحموي في كتابه معجم الأدباء أبا حيان التوحيدي بأنه فيلسوف الأدباء وأديب الفلاسفة؛ لأنه كان أديبًا موسوعيًا يحاول مزج الفلسفة بالأدب، وأن يقدم خلاصة ذلك للناس ليكون قريبًا من أفهامهم. والوصف الذي أطلقه ياقوت الحموي يكاد لا ينطبق على أحد من أعلام النهضة الأدبية في مصر إلا على زكي نجيب محمود، فقد نجح في تقديم أعسر الأفكار على الهضم العقلي للقارئ العربي في عبارات أدبية مشرقة، وفكّ أصعب مسائل الفلسفة وجعلها في متناول قارئ الصحيفة اليومية، واستطاع بكتاباته أن يخرج الفلسفة من بطون الكتب وأروقة المعاهد والجامعات لتؤدي دورها في الحياة ولما تخرج عمل بالتدريس حتى سنة (١٣٦٢هـ= ١٩٤٣م) ثم حصل على الدكتوراة في الفلسفة من لندن. وعين مستشارا ثقافيا للسفارة المصرية في واشنطن، وعضوا في المجلس القومي للثقافة. حصل الدكتور زكي نجيب محمود على جائزة الدولة التقديرية فى الآداب سنة ١٩٧٥.

وكان عندي مشروعًا فلسفيًّا؛ لأني سجلت لاستكمال هذه الرسالة، وتكلمت فيها عن المصادفة في الفيزياء، وعن الضرورة في العلوم الإنسانية، وفصلت من الجامعة، وبالتالي لم يستكملِ المشروع.

العمل بالصحافة

خسارة كبيرة حقًّا؛ ونقول إنك كنت متزوجًا من الإذاعية الكبيرة الأستاذة (سميرة الكيلاني)[٤٧]. وكانت فترة صعبة في حياتك، ثم

---

(٤٧) سميرة الكيلاني: إذاعية مصرية، لمعت كمذيعة من أفضل المذيعات. في سنة ١٩٥٦ قدمت برنامجًا جديدًا كان له أثر واسع بين جمهور المستمعين هو برنامج «مع النقاد»، وكان هذا البرنامج عملًا إعلاميًا جريئًا في «الإذاعة» التي هي أداة شعبية لا تحتمل البرامج الثقافية الصعبة والأقرب إلى التخصص، لكن سميرة الكيلاني بموهبتها الإعلامية استطاعت أن تجعل من برنامج «مع النقاد» برنامجًا سهلًا مقبولًا، بل ومثيرًا للاهتمام؛ لأنه كان قائمًا على الحوار بين أشخاص لهم وجهات نظر مختلفة.

انضمت سميرة الكيلاني سنة ١٩٥٨ إلى البرنامج الثاني في الاذاعة المصرية منذ تأسيسه، وهو البرنامج المتخصص في الثقافة، والذي كان أول إذاعة عربية ثقافية متخصصة، ولا تزال هذه الاذاعة قائمة إلى اليوم.

انتقلت سميرة الكيلاني بعد ذلك إلى التليفزيون سنة ١٩٥٩ واصبحت مسؤولة عن البرامج الثقافية بالاضافة إلى نشاطها كمذيعة أخبار لامعة، وقد تركت أثرًا كبيرًا على البرامج الثقافية في التليفزيون، وارتقت بها ونوّعت فيها، حتى أصبحت هذه البرامج تحت

أعقبها عملك في الصحافة لفترة، ثم سُجِنتَ بعد ذلك، فكانت الطامة كبرى.

(●) هذا صحيح؛ لأني عملت بشكل حر في (روز اليوسف)، وعملت في الدروس الخاصة أُدرِّسُ اللغة الفرنسية، واليونانية، واللاتينية، والإنجليزية لبعض السودانيين، ثم عملت في روز اليوسف، والتقيت بـ(السادات) لأول مرة، وداعاني إلى الانضمام إلى مجلة التحرير؛ لكي نصدر مجلة اسمها (الفجر) أنا و (أحمد الحمروش)[*]، لكنها لم تَصدُر، ثم في نهاية الأمر اتصل بي (يوسف السباعي)[*] فاشتركنا في

مسؤوليتها من أرقى البرامج وعاشت عصرًا ذهبيًا هو فترة ستينات القرن الماضي. بعد ذلك ابتعدت سميرة الكيلاني عن الاعلام واشتغلت بالنشر الحر وظلت في موقعها تعمل وتجاهد حتى رحلت في ٢٣ - ١٢ - ٢٠٠٥.

(*) **أحمد حمروش**: رئيس اللجنة المصرية للتضامن وأحد أبرز مؤرخي ثورة ٢٣ يوليو التي لعب خلالها دورًا هامًا كأحد الضبّاط الأحرار.

(*) **يوسف السباعي**: أديب مصري شغل منصب وزير الثقافة سنة ١٩٧٣، ورئيس مؤسسة الأهرام ونقيب الصحفيين. قدم ٢٢ مجموعة قصصية وأصدر ١٦ رواية آخرها العمر لحظة سنة ١٩٧٢. نال جائزة الدولة التقديرية في الآداب سنة ١٩٧٣ وعددًا كبيرًا من

الرسالة الجديدة، ثم حدثت الوحدة المصرية السورية، وكنت مُتحمّسًا جدًّا للوحدة المصرية السورية، لكن ينبغي أن نحترم خصوصيات العالم

الأوسمة. لم يكن أديبًا عاديًا، بل كان من طراز خاص وسياسي على درجة عالية من الحنكة والذكاء.

رأس تحرير عدد من المجلات منها الرسالة الجديدة وآخر ساعة والمصور وجريدة الأهرام.

عينه الرئيس المصري أنور السادات وزيرًا للثقافة، وظل يشغل منصبه إلى أن اغتيل في قبرص في ١٨ فبراير ١٩٧٨ بسبب تأييده لمبادرة السادات بعقد سلام مع إسرائيل منذ أن سافر إلى القدس سنة ١٩٧٧.

أغتيل في قبرص في ١٨ فبراير ١٩٧٨ حين كان يحضر مؤتمرًا آسيويًا أفريقيًا هناك. قتله رجلين في عملية أثّرت على العلاقات المصرية - القبرصية وأدت بمصر لقطع علاقاتها مع قبرص وذلك بعد قيام وحدة عسكرية مصرية خاصة بالهبوط في مطار لارنكا الدولي للقبض على القاتلين دون إعلام السلطات القبرصية، حيث احتجز القاتلان بعد اغتياله نحو ثلاثين من أعضاء الوفود المشاركين في مؤتمر التضامن كرهائن ، احتجزوهم في كافيتيريا الفندق مهددين باستخدام القنابل اليدوية في قتل الرهائن ما لم تستجب السلطات القبرصية لطلبهما بنقلهما جوًا إلى خارج البلاد، واستجابت السلطات القبرصية لطلب القاتلين وتقرر إقلاعهما على طائرة قبرصية من طراز (DC8) للسفر خارج قبرص من مطار لارنكا، ودارت معركة بين القوة الخاصة المصرية والجيش القبرصي، أدت إلى مقتل عدة أفراد من القوة المصرية وجرح العديد من الطرفين. واتهمت لاحقًا منظمة أبو نضال بالجريمة.



العربي، وحدةٌ مع احترام الخصوصيات، فلا نستطيع في ذلك الوقت أن نفرض قانون التعميم -الموضوع في مصر- على سوريا، ولا قانون الزراعة المصري على سوريا، فمصر زراعيًا تقوم على النيل، هناك تقوم على الأمطار، فهناك اختلاف في طبيعة البلدان، وهناك الشركة الخماسية شركة اقتصادية بسيطة، ولدينا شركات كبيرة يمكن تأميمها، أما هناك فالتأميم لا يجوز، إذن نُوحِّد.. لكن نحترم الخصوصيات.

وليس من الضروري أن يختفي اسم سوريا، أو اسم مصر، بل تظل سوريا كما هي، ومصر كما هي، وأنا في رؤيتي للوحدة العربية أن نجمع البلاد العربية في إطار واحد اتحادي، وليس دمجي، ولو صارت هذه السياسة -وأنا لا أتعالى على التاريخ- لتحققت الوحدة من زمن طويل، فينبغي أن نحترم خصوصيات، واختلافات البلاد العربية.

أعتقد أن صيغة السوق العربية المشتركة التي يطرحها الرئيس حسني مبارك حاليًا هي الصيغة الصحيحة.

من أثمن ما يقال هذه الأيام، ولكن عندما نفكر -أيضًا- في وحدة سياسية ينبغي أن نراعي الاختلافات، والمصالح المختلفة،

والتشكيلات، والتكوينات المختلفة، والأمزجة المختلفة، وكل التفاصيل والخصوصيات.

التعذيب في السجن

بالطبع، ولكن عندما نتحدث عن سنة ٥٨ لم يكنِ النظام السياسي الناصري يتحمل هذا النقد الذي تطوعتَ به، وبدأتَ تخاطبُ به الرئيس الراحل جمال عبد الناصر.

قُدِّمتُ للمحاكمة باعتباري خائن للوحدة العربية.

خائن!

نعم؛ خائن للوحدة العربية، وقُدِّمتُ إلى محكمة عسكرية على هذا الأساس، وعندما رحلنا إلى (الواحات)، وحدث الانفصال سنة ٦١ قمنا بمظاهرة، وخططنا لعمل مؤتمر في داخل الواحات، وقلنا: فليسقط ما حدث -في ذلك الوقت- من انفصال، ووقفنا ضد الانفصال، وقلنا: ما كان من الأجدر أن نرجو ألا يتدخل الرئيس تدخّلًا عسكريًّا، وأن هذا الانفصال لا يؤدي إلى أن نرفض الوحدة، ولكن كما ذكرنا أن نحترم الخصوصيات.

من أنتم، ومن الذي كان معك في سجن الواحات؟

((كانت مجموعات؛ مجموعتان من الشيوعيين، ومجموعة ضد عبد الناصر بشكل مطلق، ومجموعة تؤيد عبد الناصر بشكل نقدي، وثمة تعبير فرنسي يقول: (تضامنٌ، أو تأييد نقدي)، أي نساند الحاكم لكن مساندة نقدية بإخلاص كامل.

ونحن قلنا: نريد وحدة مع احترام الخصوصيات. والرئيس عبد الناصر عندما ألقى في خطابه نقدًا لما حدث قال: نحن لم نراعِ الخصوصيات، ولا الطبيعة الخاصة لسوريا.

من حقنا أن نفرضها من أعلى، وهذا هو الخطأ الذي ربما استمر لفترة طويلة في كثير من سياساتنا، وطالبنا باستمرار العمل من أجل الوحدة على أساس مختلف، على أساس ألا يدفعنا ما حدث إلى أن نفقد ثقتنا في الوحدة العربية.

كنت أسألك عمَّن كان معك في هذه الفترة، لأني أسأل بالتحديد عن الدكتور (لويس عوض) الذي كان رفيق كفاح.

((في المرحلة الأولى.

كان رفيق كفاح في المرحلة الأولى.

(●) لأننا دخلنا السجن مع عدد من الزملاء في ١ يناير سنة ٥٩، وكنت أحتفل برأس السنة الجديدة عند بعض الأصدقاء، وأقارب زوجتي السيدة سميرة، وبينما نحن في الحفل فإذا بالباب يطرق، ويقول الطارق لي: (اتفضل معانا ٥ دقايق)، وتحولتِ الخمس دقائق إلى خمس سنوات، وبضعة أشهر.

في الفترة الأولى كنا في (أربيدان)، وبعد ذلك ذهبنا إلى الواحات لفترة محدودة، ثم فجأة نُقِلنا إلى الإسكندرية للمحاكمة، وحُوكِمنا في الإسكندرية محاكمة عسكرية، ومنها إلى سجن (أبو زعبل).

أنا أندهش لأني فوجئت وأنا أطالع إحدى مقالاتِه النقدية في الستينيات أنه يأخذ عليك، أنك تحاول تنصيب نفسك حارسًا لثورة يوليو.

(●) بالفعل، وحدث بعد ذلك اختلاف كبير، فقد التقينا في (أبو زعبل)، وكنا نحمل عنه الحجارة، وأعباء حملها، وتحطيمها، وغير ذلك.

المهم أنه خرج مبكرًا، لكنه لم يذهب معنا إلى الواحات، وفي فترة تواجدنا في (أبو زعبل) حدث الأمر الذي أذهلنا، أو أذهل مجموعة منا، وهو الميثاق، فقد كان نقلة خطيرة.

تعذيب مرير

في أي عام كان ذلك؟

كان في عام ١٩٦٢، وأعتبرت حقيقة أني رجل مخلص في نفسي، وفي الآخرين، وأعتبرت أنه أكبر من برنامجنا، فقد قدم أشياء أكبر منا.

وخرجت إلى الضابط، وقلت له: أريد أن أبعث برسالة إلى عبد الناصر، ولم أطلب منه الإفراج عنا، ولكن أقترحنا أن يكون هناك تغيير في الشكل الحزبي، وبالتالي الاتحاد القومي لابد أن يتغير إلى شكل آخر، وأن هذه الإجراءات تحتاج أن تُحَمَى حماية سياسية، ثم بعد ذلك حدث مقتل شهدي، ومقتل عدد كبير في ذلك السجن أمام أعيننا.

(شهدي عطية)[٥٠]

---

(٥٠) **شهدى عطية الشافعى**: مفكر ثوري وأحد قادة الحركة الديموقراطية للتحرر الوطني والتي تسمى اختصارًا (حدتو). ولد فى مدينة الاسكندرية عام ١٩١٢م وانخرط فى الحركة الطلابية التي شكلت منطلقًا هامًا للحركة الوطنية المصرية في ثلاثينات القرن الماضي، وحصل على الماجيستير من جامعة كامردج ببريطانيا وكان أول مصري يتم تعينة مفتشًا للغة الإنجليزية بالمدارس المصرية، تم اعتقاله في السجون المصرية إلى أن توفي فيها إثر تعذيبات تعرض لها آنذاك.

شهدي عطيه، والدكتور (فريد حمَّاد)، أنا أعرف أني مِتُّ مرتين أو ثلاثة بشكل واضح من التعذيب.

أمن التعذيب؟!

نعم؛ من التعذيب، فقد كنا نُكسِّر حجارة تحت الضرب الشديد، والتعذيب الشديد، وكان هناك عمليات ضرب أخرى، وأيضًا كان هناك تَحَدٍّ.

وأنا أذكر في يوم من الأيام أننا دخلنا في معركة، فكان من المفروض أن نقدم ستة، أو سبعة، أو ثمانية من (المقاطف) المليئة بالحجارة (نمرة ٥)، فهي عملية كبيرة، وشاقة، نقوم بتكسر الحجارة في الجبل بـ(التنبورة)، بعد تفجرها بالديناميت، ونحولها إلى كتل صغيرة، ثم بـ(الكاسور) نحولها إلى (نمرة ٥)؛ لتستخدم في رصف الأرض في الشوارع.

فكان على كل واحد أن يُحضر (٨ غلقان)، فأجتمعنا، وقررنا أن نحضر ثلاثة فقط، وأخذنا نتحدى، ونضرب حتى استقرينا على الثلاثة.

ولكني أقترحت أن نتحدى بأشكال مختلفة، فقد كنت عضوًا في اللجنة المركزية في ذلك الوقت، في عنبر نمرة ١، وكان العدد ستة عنابر.

في أي لجنة مركزية؟

اللجنة المركزية للحزب.

أي حزب هذا؟

حزب المسجونيين، الحزب الشيوعي، الناصري في ذلك الوقت، اجتمعنا في اللجنة القيادية في العنبر نمرة واحد، وقلت لهم: (كفانا هذا التحدي)، فالحيوان الجريح قد يزداد شراسة، ينبغي أن نجعله يبتلع المكسب الذي اكتسبناه، فالزملاء قالوا: لا، نواصل، ونأخذ مكسبًا أكثر، فقلت: إذن نواصل التحدي، ولأني أنا ضد التحدي قلت: أكون على رأس الذين سيتحدون، فتكونت لجنة ثلاثية أنا وزميلين آخرين -لا داعي لذكر اسمهما- لنعبر عن تحدينا، ورفض المعاملة السيئة، وخرجنا في طابور المساء (طابور التعذيب) أيضًا، وعقب الطابور خرجتُ للضابط، وقلت له: عندي احتجاج: أنتم لا تمارسون القانون الخاص بالسجون، ولائحة السجون.

فقال: ماذا تقول؟!

وكل الطوابير التي كانت خارجة معي للاحتجاج دخلتِ العنابر، ولسوء حظي لم يذهب عساكر الصباح كعادتهم، ووصل عساكر المساء،

وتلقفوني في (الفناء)، وأوسعوني ضربا حتي تحطّمت، وألقوا بي في زنزانة مليئة بالحشرات، وأريد أن أزحف نص متر فقط، ولكنها عملية صعبة، فكل ما في جسمي يؤلمني من الضرب، وعندها سألت نفسي سؤالًا فلسفيًّا مازلت أذكره حتى الآن، فهناك رواية قرأتها لـ(سارتر)(٥١) اسمها (الأيدي القذرة)، وفيها طُلِبَ من أحد أعضاء الحزب الشيوعي أن يقوم بقتل أحد الأفراد، وقد كان ضدَّ هذه الفكرة، لكنَّه قام بها، فهل كان مخلصا لذاته؟ وهل كان حُرًّا عندما قام بها أو لم يكن؟ فأنا سألت نفسي هذا السؤال: أنا كنت ضد عملية التَّحدي، وقمت بها، فهل كنت حرًّا، أم لا؟

---

(٥١) **جان-بول شارل ايمارد سارتر (٢١ يونيو ١٩٠٥ باريس - ١٥ أبريل ١٩٨٠ باريس):** هو فيلسوف وروائي وكاتب مسرحي كاتب سيناريو و ناقد أدبي وناشط سياسي فرنسي. بدأ حياته العملية أستاذًا. درس الفلسفة في ألمانيا خلال الحرب العالمية الثانية. حين احتلت ألمانيا النازية فرنسا، انخرط في صفوف المقاومة الفرنسية السرية. ساهم أيضًا في إعطاء الجزائر استقلالها ووقف أمام حركة بلاده الاستعمارية وكان قوله المشهور السلام هو الحرية.

وظللت طوال الليل في هذه الفلسفة كي أتجاهل ما حدث، وهذا شيء أنصحُك به: «عندما تكون في ضائقة، أو ألم؛ فكِّر في شيء آخر حتى تنسى ما بك من الألم.»

وقلت: أنا حرٌّ بالفعل؛ لأني أخترت أن أكون غير حر، أو أخترت أن أخضع لرأي آخر حتى لا أبدو ضعيفا أمامهم، ولا أخضع لرأيي الشخصي على حساب الجماعة.

المهم أنه اختيارك الشخصي.

هو اختياري الشخصي، ومكثتُ طوال الليل أفكر في هذا.

فهَوَّن ذلك عليك عذاب السياط، والضرب.

إلى أن جاءني ثلاثةُ عصافير وهوَّنُوا عليَّ، لأنهم كان يُعطوني رغيفًا من الخبز، فنزل العصافير على الرغيف، والغريب في الأمر أن الرغيف كان كبيرًا، ومع ذلك وجدت صراعًا شديدًا بين العصافير الثلاثة، فجلست أتأمل هذا الصراع، فكل واحد يريد أن يستقل بالرغيف، مع أنه أكبر من أي عصفور فيهم، وأمضيت وليلي في متابعتهم، ودراسة أصواتهم، فوجدت أن هناك مقاطع مختلفة، فحاولت أن أدرس هذه التغيرات في تعبيرهم لكي أفهم هذه اللغة.

المهم أني رأيت هذه القسوة الشديدة من العصافير، وشغلت نفسي بهذا الأمر إلى أن جاء طابور الصباح، وإذا بالضابط يفتح الزنزانة كي يأخذني إلى الجبل، وأنا كل قدم من أقدامي كانت كقدم الفيل.

من التعذيب، والضرب.

مـن التعـذيب، والـضرب الـشديد، ولم أسـتطع أن أتحـرك، فحملني أصدقائي إلى أن وصلت إلى الجبل، وبدأتِ الرحلة اليومية وكنا نسير حفاةً على أرض مليئة بالأشواك، ووصلت إلى مدخل الجبل، وكان لكل واحد منا مكان في داخل الجبل، وأنا لم أستطع أن أتحرك فنمت في مكاني، وزملائي كل واحد منهم ذهب مسرعًا إلى مكانه، وللأسف في نهاية اليوم لم أكن أكملت الثلاثة (مقاطف) التي أتفقنا عليها، فضُربت.

مرة ثانية!

وأذكر لي كلمة قلتها في رثاء صديقي العزيز (سالم الدروري)، كانت صدمة قاسية جدًا، شعرت بعدها بالغربة حقًا، وهذه الكلمة هي (ما أقسى الجُرح على الجُرحِ)، وهذه الكلمة كانت -بالفعل- معنى لهذا اليوم.

الجرح على الجرح

الجرح على الجرح، وطبعًا أكملتها.

وعدت محمولًا إلى الزنزانة، ولم أستطع أن أخرج، لأن قدمي قد انكسرت، قصة طويلة، ولا أعرف لماذا دخلت في هذه الثرثرة؟!

لا بالعكس، فيالها من شهادة جيدة على العصر، هذه الوقائع التي ذكرتها تعكس فترة من تاريخ مصر، وأنتم كمثقفين عانيتم منها مع العلم بأن المثقفين كانوا طليعة ثورة يوليو، وهم السياج الطبيعي الذي يحميها، لكن حدث هذا الصدام بينكم وبين النظام.

ونحن نحترم عبد الناصر.

نعم؛ بالطبع.

ورغم أني مازلت أُعاني من جراح في جسمي من هذه المرحلة، إلا أنني أعتبرها أشرف مرحلة في تاريخ مصر.

عبد الناصر وحزب الطليعة

وهو يحترمك أيضًا، وأنا أعلم واستقبلك بعد ذلك، وأشاد بك، وأعلنها في مقابلة عامة.

هذا صحيح، وقال لي: أتشعر بمرارة؟ فقلت له: لا، ولكني أشعر بالحزن، فنحن في السجن، وأنت تقوم بأعمال كبيرة، وكنا نتمنى أن نشاركك فيها.

كنت أقولها بصدق، وكنا نحزن لأننا كنا قسمين، قسم معه يُعذَّب أكثر، ويموت منه أكثر، وقسم آخر ضده، وكان أقل تعذيبًا.

ولا أعرف لماذا، فأنا و(عبد العظيم أنيس) (٤٠)-مثلا- كنا مشهورين لدى الدول فكان كثير من إذاعات العالم تذكر أسماءنا، فأحد

---

(٤٠) **عبد العظيم أنيس**، (و. ١٩٢٣ - ت. ٢٠٠٩): مفكر وعالم رياضيات مصري. ولد في القاهرة عام ١٩٢٣، تخرج في جامعة القاهرة وحصل على شهادة الدكتوراه في الرياضيات الإحصائية من جامعة لندن عام ١٩٥١.

شارك أنيس في المقاومة ضد الإحتلال الإنجليزي حيث يُعد من جيل اليساريين المناضلين الذين واصلوا نضالهم للحصول على الحرية العامة والديموقراطية وذلك بعد ثورة يوليو عام ١٩٥٢، وشارك في مظاهرات عديدة ضد الإحتلال منها عام ١٩٣٥ وتم القبض عليه ، ثم أُفرج عنه لصغر سنه. ويذكر أنه قاد مع رفيقه محمود أمين العالم صراعًا مع عباس محمود العقاد وطه حسين واستطاعا من خلال كتابهما الشهير «في الثقلفة المصرية» ومقالاتهما في مجلة روز اليوسف وغيرها من إيجاد موقع للمفاهيم النقدية للواقعية الاشتراكية. وكتب وهو معتقل في الستينيات كتاب بعنوان«رسائل الحب والحزن والثورة». توفي في القاهرة في ١٦ يناير ٢٠٠٩.

الضباط لا أذكر اسمه: اخرجنا، وقال لنا أنتم مشهورون لدى الدول، ويُحمِّلُنا ما لا نحتمل، ويجعلنا -مثلًا- ننظف عنبرًا طويلًا.

المهم أن هذا لم يغير رؤيتي لمصر، فأنا دائمًا أعتبر مصر كالعملية الحسابية التي تتكوّن من البسط والمقام، فالمقام هو مصر، والبسط واحد وهو الرئيس، فالذي يقدم إلى مصر أحترمه، فعبدالناصر قدم كثيرًا إلى المقام وهو مصر، ولذلك أنا أحترمه.

وأنا -أيضًا- أذكر أن الرئيس جمال عبد الناصر -رحمه الله- كان يبادلك احترامًا باحترام، وأنه استقبلك بعد خروجك من السجن، وكان مقتنعًا بك، وضمَّك إلى التنظيم الطليعي، وأسند إليك العديد من المناصب الهامة في ذلك الوقت، فبدأتَ في مجلة (الهلال)، ورأستَ هيئة الكتاب، وكلَّفك بالسفر إلى فرنسا مع

(حرب ٦٧) [٥٣] لايجادلك اللغة الفرنسية، ثم عيَّنَكَ رئيسًا لـ(أخبار اليوم)، نريد أن نتوغّل معًا في هذه الفترة.

((●)) كنت سعيدًا جدًّا بتلك المسؤوليات، وكانت مسؤوليات ثقافية في إطارها العام، ولكنها لم تكن بعيدة عن السياسة لا شك،

---

[٥٣] **حرب ٦٧ أو حرب حزيران أو حرب الأيام الستة:** هي حرب حدثت عام ١٩٦٧ بين إسرائيل وكل من مصر وسوريا والأردن، انتهت بإنتصار إسرائيل واستيلائها على قطاع غزة والضفة الغربية وسيناء وهضبة الجولان.

تعدّ حرب ١٩٦٧ الحرب الثالثة ضمن سلسلة الحروب التي خاضتها إسرائيل ضد العرب في ما سمي بالصراع العربي الإسرائيلي وقد انتهت باستيلاء إسرائيل على كامل دولة فلسطين، هذه المنطقة الجغرافية التي كانت السلطة القائمة عليها ما بين عام ١٩٢٣ وحتى عام ١٩٤٨ تدعى حكومة فلسطين تحت الانتداب البريطاني وتدعو الأرض القائمة عليها فلسطين. ومعظم أهلها من العرب المسلمين والمسيحيين بالإضافة إلى أقلية من اليهود. وكان نفوذ هذه السلطة يمتد على جميع الأراضي التي يدعوها اليهود اليوم إسرائيل ويعرفها العرب كفلسطين ويطلقون عليها اسم فلسطين المحتلة. وهذه الأرض كانت جزءًا من بلاد الشام لأكثر من أربعة عشر قرنًا.

تسمى هذه الحرب (بالإنجليزية: Six Days War) وتترجمها المصادر الإسرائيلية وبعض المصادر العربية غير الرسمية والأجنبية الناطقة بالعربية كـ(حرب الأيام الستة) بالعربية، بينما تشيع تسميتها الشعبية بالعربية (النكسة).

وأذكر أني بدأتها مع الأستاذ أحمد بهاء الدين[٥٥] -رحمه الله- في مجلة الهلال.

هل كان هذا بعد الخروج من السجن؟

نعم؛ كان بعد الخروج من السجن مباشرة.

نستطيع القول بأنها كانت مصالحة.

كانت في بداية قضية السد العالي، ورفض الأمريكان تمويل بناء السد العالي، وتقدم الاتحاد السوفيتي بفكرة القيام بعملية التمويل، وتبدو خطوة على طريق المصالحة مع الاتحاد السوفيتي، مع أننا لم

---

(٥٥) **أحمد بهاء الدين** (١٩٢٧ - ١٩٩٦): صحافي مصري. رئيس تحرير مجلة صباح الخير ودار الهلال والأهرام ومجلة العربي الكويتية (١٩٧٦ - ١٩٨٢). وكان يكتب المقالات في العديد من الصحف المصرية والعربية. ولد في محافظة أسيوط عام ١٩٢٧. تخرج في كلية الحقوق بجامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة حاليًا) عام ١٩٤٦ وقد كان أحد أصغر رؤساء التحرير حين توليه رئاسة تحرير مجلة (صباح الخير) عام ١٩٥٧. كان أول من هاجم عشوائية سياسة الانفتاح الاقتصادي المتبعة في عهد السادات وذلك بمقاله الأشهر «السداح مداح» وذلك أثناء رئاسته لتحرير الأهرام الجريدة الحكومية شبه الرسمية. توفي عام ١٩٩٦ بعد صراع مع المرض حيث قضى أخر ست سنوات من عمره في غيبوبة طويلة.

يكن لنا صلة بالاتحاد السوفيتي، والاتحاد السوفيتي استمر، وانتهى وأنا لا أزال اشتراكيًّا، وهي قضية لاعلاقة لها بالاشتراكية.

أنتم دائمًا تُحسَبُون على الروس.

والغريب أن الحركة الشيوعية المصرية دائمًا مستقلة بل مختلفة، مختلفة منذ بدايتها.

اشتراكية عبد الناصر

هناك مزاعمُ تقول إنكم تتلقون العون، وإنكم عملاء، لكن عندما أراد عبد الناصر أن يقيم مشروع السَّد العالي لم يجد نصيرًا له غير الروس.

عبد الناصر كان محتاجًا لمواصلة تجريب الاشتراكية.

بالطبع.

لا يمكن إقامة بناء اشتراكي -أيًّا كان مستوى الاشتراكية- إلا بأناس -على الإقل- على مقربة مؤمنة بها.

مؤمنين بالذكرى طبعًا.

(●) كانت المسألة مرتبطة ببعضها البعض، وبالتالي تم الإفراج عنهم على مراحل عديدة، وبالمناسبة كانتِ المحكمة التي حُوكمت فيها أخرجتني براءة، لكنها براءة بخمس سنوات، والزملاء الذين حُكِمَ عليهم بخمس سنوات خرجوا معي.

وتم الإفراج بالفعل نتيجة لهذا التغيير الجذري الذي بدأ يحيط بمصر، بمناسبة رفض أميركا لمشروع السد العالي، وتهديد أميركا للنظام كله، ولهذا خرجنا، وانضمينا للاشتراكية بعد أحداث داخلية طويلة، وبعد ما حدث الميثاق.

ميثاق العمل الوطني.

(●) ميثاق العمل الوطني، وبعد ذلك علمنا أن هناك تنظيمًا داخليًّا اسمه تنظيم (الطليعة)، وأتَّصل بينا أحد أفراده كي ننضم إليه، وتمت مناقشات كبيرة بين الطرفين، بين مجموعة عبد الناصر ومجموعتنا في الداخل، وقبلنا، ولكن تمت مناقشات، ومؤتمرات عديدة لتحديد الأساس الذي نقبل عليه دخول التنظيم الجديد؟ هل نقبل متمسكين بكلمة الماركسية؟ مناقشة طويلة، ليس من

الضروري، القضية ليست قضية ماركسية، فماركس نفسه قال: أنا لستُ ماركسيًّا، فمن الذين يجمدون الماركسية، ويجعلونها دينا، أم هل نقبل على أساس أن هناك طبقات بدور العمال، ودور المادية الجدالية؟ فإذن أتفقنا على المبادئ العامة، أو معاني المبادئ العامة.

المهم: تحررٌ مصري، تنميةٌ اقتصادية أساسية ديمقراطية، أسسٌ معينة، وخرجت على أساس، وخرجنا لنجد عبد الناصر يُشكِّل لجنة لمناقشتنا في عملية تصفية الحزب، والدخول في الاتحاد الاشتراكي، أو الطليعة، وكان مُمَثِّلا هذه اللجنة هم (أحمد حمروش، وأحمد فؤاد)، وأحمد فؤاد من مؤسسي الحركة الشيوعية.

وأحمد حمروش كان في تنظيم (حدتو)[٥٥]

---

[٥٥] **حدتو**: واحدة من المنظمات الشيوعية المصرية من منتصف الأربعينيات حتى تم حل التنظيمات الشيوعية المصرية في منتصف الستينيات على أيد النظام الناصري...

حدتو هي إختصار للحركه الديمقراطية للتحرر الوطني نتجت عن اتحاد الحركة المصرية للتحرر الوطني مع منظمة إسكرا «الشراره» في صيف عام ١٩٤٧، و من رجال هذا التنظيم شهدي عطية الشافعي، زكي مراد، محمد شطا، كمال عبد الحليم، أحمد الرفاعي، إبراهيم المناسترلي، بهيج نصار، خالد محي الدين، يوسف صديق، أحمد حمروش، صنع الله إبراهيم.

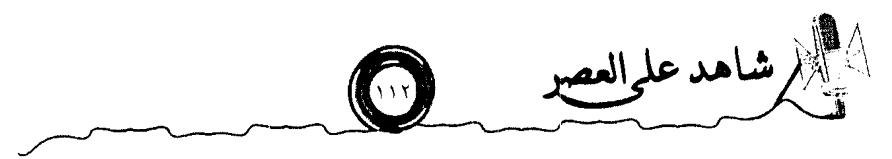
في تنظيم (حدتو) في الجيش، ولكن حقيقة أقولها: كان خدعة.

ولا أريد أن أستخدم الكلمة الكبيرة هذه، ولكن محاولتي هذه لتلميع القضية؛ لأنه حدث الموقف الانتقائي، واختير البعض، ولم يتم اختار البعض الآخر، وتم تعيين بعض العناصر، وتم تصفية الحركة الشيوعية، والغريبة أن الجماعة الذين كانوا ضد عبد الناصر عندما خرجوا حلُّوا حزبهم أيضا.

ونحن -أيضًا- قمنا بحل الحزب رغم أني لم أحضر المؤتمر، لكني لا أستطيع أن أقول أني كنت ضد هذا، فأنا أقابل مندوبًا من طرف عبد الناصر، ويعينُني في داخل الطليعة.

الحزب الطليعي، أو التنظيم الطليعي.

الطليعة الاشتراكية بدأت أواصل فيه نفس سياستي، كأن أرسل إليه الفلاحين، فإذا به يقرر أن أكون عضوًا في سكرتارية طليعة الاشتراكية، وأصبحت عضوًا في طليعة الاشتراكيين.



المناصب التي تولاها

وأثناء هذا أُسند إليك -أيضًا- بعض المناصب الهامة.

كنت مسئولًا عن الثقافة في داخل الطليعة، ثم أُسندت إليَّ المناصب التي ذَكَرتَها آنفًا.

نعم؛ منها رئيس هيئة الكتاب.

رئيس هيئة الكتاب، وكان هناك مشكلة في المسرح بين (علي الراعي)[٥٥]، وبين الدكتور (عكاشة)، فاختارني الدكتور

---

(٥٥) **علي الراعي**: كاتب وإذاعي مصري، وُلد في محافظة الإسماعيلية في عام ١٩٢٠. انتقل إلى القاهرة والتحق بكلية الآداب قسم اللغة الإنجليزية في جامعة القاهرة عام ١٩٣٩ ثم تخرج منها عام ١٩٤٤، وحصل على منحة دراسية في جامعة برمنجهام حيث حصل على درجة الدكتوراه في موضوعه برنارد شو.

عمل الراعي كمقدم برامج في الإذاعة المصرية وقام بتدريس الأدب المعاصر في كلية الآداب جامعة عين شمس. كما شغل رئاسة هيئة الموسيقى والمسرح التي كانت تتبع وزارة الثقافة والمسؤولة عن المعاهد الفنية للوزارة، وكان من ضمن إسهاماته إنشاء أول فرقة شعبيه وعددًا من الفرق الموسيقية.

في عام ١٩٦٨ قدم الراعي استقالته في العديد من المناصب الحكومية لكي يتمكن من متابعة مهنة الكتابة، حيث ألف اثني عشر كتابًا عن المسرح وترجم كتبًا كثيرة لمشاهير

(عكاشة) لأكون رئيسًا لهيئة المسرح، ثم بعد ذلك عملت في (أخبار اليوم)، وقبل ٦٧ اتصل بي الرئيس، وقال لي: اذهب إلى فرنسا؛ لأن الهجوم سيأتي بعد يومين.

بعد يومين!

الكتاب العالميين مثل تشيكوف وابسن. وفي عام ١٩٧٣ سافر إلى الكويت لتدريس الدراما المعاصرة وعاد في عام ١٩٨٢ ليلتحق بمجلة روزاليوسف ثم بعد ذلك مجلة المصور ثم، بدأ يكتب إلى جريدة الأهرام.

كتب الراعي للمسرح حوالي ٥١ كتابًا واتخذ من النقد رسالة وطنية واجتماعية، وانحاز إلى الفن الجميل الذي يحمل الفكرة العميقة دون تجهم، ويحافظ على الهوية الثقافية دون انغلاق على الذات، ويفتح الباب للتجريب، والانفتاح على ثقافات العالم. وفي مجال القصة والرواية ترك حصادًا كبيرًا واستطاع أن يشد قارئ «الأهرام» إلى الأعمال الأدبية والمواهب الجديدة التي يكتب عنها، ففي مقالته الأسبوعية بالأهرام كان القارئ يستطيع أن يرى النقد، ويرى النص، ويضع أصابعه على مواطن الفرح والجمال فيه، ويسعد بالأضواء الباهرة التي يسلّطها الكاتب على البراعم والزهور الأدبية التي تتفتح.

حاز الراعي على جائزة الدولة التقديرية وجائزة التقدم العلمي الكويتية.

يُعد ١٨ يناير ١٩٩٩ هو يوم الختام للدكتور علي الراعي الشخصية المصرية العريقة في مجال المسرح، الذي أثرى التراث الثقافي والأدبي المصري بكتاباته التي لا تقدّر بمال في مجال السياسة والمسرح والنقد، فكان له فكره بأن للأدب دور اجتماعي.

نعم؛ فذهبت بالفعل، ودخلت مظاهرة في باريس، وانضم إليّ فيها الأستاذ (أحمد بهاء)، و(لطفي الخولي)[٦٧] حيث كانا في فرنسا، وعقدنا لجنة معيّنة لنعبّر عن موقفنا، وقمنا بالمظاهرة التي

---

(٦٧) لطفي الخولي (١٩٢٨ ـ ١٩٩٩م): كاتب سياسي يساري ومسرحي وكاتب قصص قصيرة. حصل على دبلوم الحقوق من كلية الحقوق، جامعة فؤاد الأول (القاهرة حاليا)، عام ١٩٤٩. مارس المحاماة في الفترة من ١٩٤٩ حتى ١٩٦٣. عمل بجريدة الأهرام وأنشأ عموده (الرأي السياسي)عام ١٩٦١. عمل رئيسًا لتحرير مجلة الطليعة عام ١٩٦٥. أشرف على صفحة الفكر العربي بجريدة الأهرام عام ١٩٨٦. نشر مجموعته القصصية الأولى «رجال وحديد»، عام ١٩٥٥.. مسرحية «القضية»، عام ١٩٦١.. مسرحية «الأرانب»، عام ١٩٦٤... «المجانين فقط لا يركبون القطار»(مجموعة قصصية)، عام ١٩٨٦.

هذا إلى جانب الكثير من الكتابات السياسية التي كانت تناقش قضايا المجتمع منها:

* عمود (الرأي السياسي) بجريدة الأهرام بدءًا من عام ١٩٦١.
* كتاب «الميثاق الوطني: قضية للمناقشة»، عام ١٩٦٢.
* كتاب «الهزيمة في العالم الثالث»، عام ١٩٦٦.
* كتاب «أربع ورقات من الملف العربي»، عام ١٩٨٠.
* كتاب «أيديولوجية السادات والحزب اليساري المصري»، عام ١٩٨١.

الجوائز والأوسمة:

* جائزة الدولة التقديرية في الآداب من المجلس الأعلى للثقافة، عام ١٩٩٣

تُأيِّد ثورتنا، وتحتج على ما حدث، وجلسنا لنفكر في أسباب الخطأ -التي كتبها بهاء بعد ذلك-، والقضية هي قضية التخلّف الحضاري الذي اعترانا.

وعدت من هذه الجولة في فرنسا، وكنت -في ذلك الوقت- مسؤولًا عن هيئة الكتاب، وأتت مسؤولية هيئة المسرح، ثم استدعاني الرئيس عبد الناصر، وجلسنا جلسة طويلة عام ٦٧، وتحدثنا عن علاقته بفكرة المشير.

ما أهم ما استخلصتَه منه في هذه الجلسة، وتريد أن تثبته في شهادتك على عصرك؟

أهم ما أريد أن أثبته أن السلطة لم تكن في يده في الفترات الأخيرة، فالجيش لم يكن معه، وقد قال لي إنه كان ينام، وتحت وسادته (مسدس)؛ لأنه يتوقع في أي لحظة أنهم سيدخلون عليه، ويقتلونه، وهذا الرجل إنسان جدًّا في داخله.

جمال عبد الناصر!

(◉) بكل جبروته هذا، إنسان جدًّا، كان يحرص كل أسبوع أن يذهب إلى بيت المشير؛ ليأكل معه، وهذا يقرب المسافة بينهما، ويزيل كل الحواجز، والفوارق، وكان يحاول أن يطور المسائل بهدوء حتى لا يحدث مزيدًا من الانقسام.

والملاحظة -أيضًا- في حياة عبد الناصر أنه لم يؤذِ أيَّ عضو من أعضاء مجلس قيادة الثورة مهما اختلف معه.

(عبد اللطيف بغدادي)[٥٨] اختلف معه، ولم يحدث معه شيئًا، ولم يحدث أنه سبب أذى لأي واحد بدأ معه الثورة، وكذلك (خالد محيي الدين) اختلف معه فأرسله إلى فرنسا.

---

(58) **عبد اللطيف البغدادي** (١٩١٧-١٩٩٩) هو سياسي مصري ووزير سابق من مواليد ٢٠ سبتمبر ١٩١٧ بالمنصورة، مصر لأسرة ثرية بقرية شاوة التابعة لمركز ومدينة المنصورة. كان والده عمدة هذه القرية. وله ولد واحد وثلاث بنات. حصل على البكالوريا من مدرسة المنصورة الثانوية ١٩٣٧. درس في الكلية الحربية وتخرج منها في ٣١ ديسمبر ١٩٣٨ وكان الثاني على دفعته. التحق بكلية الطيران وتخرج فيها عام ١٩٣٩ وكان الأول. كان أول ضابط طيار مصري ألقى قنابل على تل أبيب. حصل على النجمة العسكرية مرتين خلال حرب فلسطين. قائد أول تنظيم سري في سلاح الطيران.

* في ١٩٤٨ عين قائدًا لمحطة طيران غرب القاهرة.

* انضم لتنظيم الضباط الأحرار عام ١٩٥٠.

* عقب ثورة ٢٣ يوليو عين مراقبًا عامًا لهيئة التحرير.

* في ١٨ يونيو ١٩٥٣ عين وزيرًا للحربية في عهد الرئيس محمد نجيب.

* في ١٦ سبتمبر ١٩٥٣ عين رئيسًا لأول محكمة لثورة.

* في ١٧ إبريل ١٩٥٤ عين وزيرًا للشئون البلدية والقروية ورئيس لمجلس الخدمات العامة في وزارة الرئيس جمال عبد الناصر.

* في ٢٩ يونيو ١٩٥٦ عين وزيرًا للشئون البلدية والقروية ووزيرًا لإعادة تعمير بورسعيد بعد العدوان الثلاثي.

* في ٢٢ يوليو ١٩٥٧ انتخب أول رئيسًا لأول مجلس نيابي بعد قيام الثورة.

* بعد قيام الوحدة مع سوريا حل مجلس الأمة وعين نائبًا لرئيس الجمهورية.

* في أغسطس ١٩٥٨ عين نائبًا لرئيس الجمهورية لشئون الإنتاج.

* في ٨ نوفمبر ١٩٦٠ عين رئيسًا للجنة الوزارية للشئون الاقتصادية العليا.

* في ١٧ أكتوبر ١٩٦١ عين نائبًا لرئيس الجمهورية للإنتاج ووزيرًا للخزانة والتخطيط.

* في ١٩ أكتوبر ١٩٦١ كلف بإعادة تنظيم الجهاز الحكومي.

* في ٢٤ أكتوبر ١٩٦٢ عين عضوًا للجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي.

* وظل بمجلس الرئاسة الذي شكل في نوفمبر ١٩٦٣.

* وفي مارس ١٩٦٤ قدم استقالته واعتزل الحياة السياسية.

* أول من شق بعصاه طريق كورنيش النيل في زمن قياسي.

والمشير عامر.

المشير أخذت سلطته تكبر جدًّا فتدخل في كل شيء، ومع ذلك كان يسعى أن يحل المشكلة معه وديًّا، لكنه وجد من بعض العناصر التي كانت محيطة بالمشير عامر مثل (شمس بدران)، وغيره أنهم يتكبرون، وأحسوا أن الأمور أصبحت في أيديهم في كل شيء، وكان مهدَّدًا بالفعل، وحزينًا عندما كان يحكي لي -في هذه الجلسة- تفاصيل ما حدث.

وهل صدَّقته فيما قال؟

نعم؛ فقد كان يتكلم بصدق، لم يكن يبرر شيئًا، كان يحكي من قلبه عن محنته في صديق، محنته في أوضاع، محنته في انحراف الثورة، محنته في أسباب الهزيمة، في معرفته بأن العدوان سيأتي، وفي يوم العدوان كان هناك احتفال القوات الجوية، رأينا مظاهرَ مريبة جدًّا، وغريبة جدًّا، ومع ذلك كان يتحمل هذه المسؤولية.

---

* وتوفي في ١٥ يناير ١٩٩٩. وقد شيع في جنازة مهيبة يتقدمها رئيس الجمهورية محمد حسني مبارك.

لذلك لم يأخذ قرارًا بعزله تمامًا.

لم يكن يستطيع، فهو لم يعزل واحدًا من رجاله، ولم يتّخذ موقفًا حاسمًا ضد أي واحد من رجاله الذين بدأوا معه الثورة.

إذا كان قائدًا مهزومًا، وعليه مسؤوليات الهزيمة بهذا الشكل الذي صوّره لك الرئيس الراحل جمال عبد الناصر، فلماذا لم يُقدَّم إلى المحاكمة العسكرية كما حدث مع بعض قادة القوات المسلحة الذين قُدِّمُوا للمحاكمة عن هزيمة ٦٧؟

لم يكن يستطيع.

جمال عبد الناصر لم يكن يستطيع أن يقوم بهذا التكرار.

لم يكن يستطيع، فقد كان من السهل أن يُغتَال في أي لحظة من هذه المجموعة التي التفَّتْ حول المشير.

هل تبادلا الاتهام بمحاولات الاغتيال هما الاثنين.

ربما، لكنني أعرف أن عبد الناصر كان في هذه المرحلة يتحمل المسؤولية كاملة.

وقد كنت في باريس أسمع خطابه حين قال: إنني أتحمّل كل مسؤولياتنا.

في خطاب التنحّي.

خطاب التنحّي الذي قال فيه: أنا أتحمل كل هذه المسؤولية، وبالتالي كان في لحظة ضعف، لم تكن السلطة كلها في يده إطلاقًا، وفي تقديري أنه كانت هناك سلطة أخرى تتكون حول المشير، وعلى هذا الأساس فقضية الانتحار، أو الاغتيال قضية مطروحة، أي لا أستطيع أن أحكم فيها إطلاقًا؛ فقد كانت هناك أشياء بجانبه، وأخرى ضدَّه، ولكنَّ من حسن الحظ أن المسألة انتهت، لكنَّ ما نعرفه من الظروف التي كان يمارس بها الحياة، ويمارس بها غايات الجيش، ودوره في سوريا فقد كان من الأسباب الأساسية الحقيقة بشخصيته الانتوراج الجماعة المحيطين به وأسلوب العمل، وكنت أتوقع نكبة بشعة لمصر لو حدث التغيير لمصلحة هذه المجموعة التي على رأس الجيش، والتي سببت الهزيمة العسكرية ، لأن ما حدث تغيير خطير في الوقت الذي

بدأت فيه حرب الاستنزاف[٥٩]، وبدأ التخطيط لأشياء مختلفة، وبدأنا نعود لخطة التنمية التي كانت مصابة بالهبوط الشديد.

وبدأ إعادة بناء القوات المسلحة مرة أخرى.

بشكل مذهل في فترة محدودة، فحرب الاستنزاف بدأت بعدها بعدة أشهر، وهذا شيء مذهل، مع أن كل الأسلحة وكل الأشياء لم تكن مناسبة لها، وكان هناك شيء آخر أخطر، وهو تغيير الميثاق تغييرًا أكثر تقدّمًا، وأنا في هذه الفترة شاركت في عدة أشياء- بأسماءَ صحفيين، وإذاعيين، وإعلاميين للإعداد للتغيير، وإرسال الفلاحين، والعمال للخارج إعدادًا للتغيير، والميثاق كان

---

(٥٩) **حرب الإستنزاف**: تعبير أطلقه الرئيس المصري الراحل جمال عبد الناصر على العمليات العسكرية بين الفترة يونيو ١٩٦٨ والتي دارت بين القوات المصرية شرق قناة السويس والقوات الإسرائيلية المحتلّة لمنطقة سيناء عقب حرب الأيام الستة التي احتلت فيها إسرائيل الأرض العربية في كل من الضفة الغربية وقطاع غزة وهضبة الجولان وسيناء. شملت الحرب عمليات متعددة شملت العمق المصري ومناطق خارج منطقة الصراع تمامًا مثل عملية تفجير الحفّار الإسرائيلي في المحيط الأطلنطي وليس الجبهة فقط. انتهت الحرب بموافقة عبد الناصر على مبادرة «روجرز» في مايو ١٩٧٠.

مُعرَّضًا فعلًا لتغيرات عميقة لتعميق التجربة الاجتماعية، والفكرية، والديمقراطية.

وعبد الناصر في هذه المرحلة قد تكلّم عن ثلاثة أحزاب، أي أننا كنا على مشارف أُفق مختلف نتيجة لهذه الخبرة، ثم حدث القدر الغريب، وسافرت أنا و(ضياء الدين داود)[٦٠]، و(لطفي الخولي)، وعدد من المشاركين في الاحتفال بمرور ٩٠ عامًا على وفاة (لينين) فيما أذكر، وشاركنا هناك في الاحتفالات، وعندما عدنا وجدنا أن هناك مُخطَّطًا كبيرًا للمعنى الاشتراكي أنه سيكون مراكزًا في مختلف القُطر، وتغيرات في الثقافة، وتغيرات في التجديد، وبداية أُفق جديد لمصر، ثم حدث ما حدث.

---

(٦٠) ضياء الدين داود (فارسكور، محافظة دمياط: ٢٧ مارس ١٩٢٦): رئيس الحزب العربي الديمقراطي الناصري. تخرج من كلية الحقوق جامعة القاهرة سنة ١٩٤٩.. يستند في مبادئه إلى مبادئ وأفكار الرئيس المصري الراحل جمال عبد الناصر، ويعتبر أن المشاكل الأساسية التي تواجه مصر حاليًا لا تختلف كثيرًا عن التحديات التي واجهتها مصر خلال عقدي الستينيات والسبعينيات من القرن العشرين.

وفاة عبد الناصر، وخطة العبور

إلى أن توفي عبد الناصر، لكن انتهت هذه المرحلة، وجاء السادات، وحدث العبور العظيم في ١٩٧٣، وقد يكون هذا ما خفَّف من حدة الذكريات المريرة بسبب الهزيمة.

صحيح، لكن كانت هناك خطة مختلفة، وما حدث لم يكن خطتنا، وأنا كنت على علم تام بهذه الخطة.

أي أنَّ خطة العبور غير خطة عبد الناصر.

خطة العبور هي جزء من خطط عبد الناصر، وهي خطة معدّة، وكنا نناقشها.

ولماذا تناقشونها، أنتم لستم عسكريين؟

كان بيننا بعض العسكريين، كان هناك ارتباط بـ(علي صبري).

وهل تُنَاقَشُ خطةٌ عسكريةٌ عَلنًا؟

لأنها خطة تفصيلية، واتجاه عام، وكانت مع بداية حرب الاستنزاف، وحرب الاستنزاف ما زالت تستمر، وبعدها يبدأ

العبور، ونحن لانعرف شيئًا عنه، فكيف نعبر ونحن لا نملك أيَّ فكرة عن العبور، وكيفيته؟ لكننا نعبر إلى المضايق ونتوقف، ومنها تبدأ حرب استنزاف أخرى، ونستمر بعد ذلك إلى منطقة أخرى - لا أذكرها- ونقف، وتبدأ حرب استنزاف إلى أن نصل لتجنّب حرب الطيران، أو معركة الطيران، وقد كانت خطة في غاية الذكاء، وتم الاتفاق فيها مع الروس.

العمل بأخبار اليوم

أود أن نرجع إلى الوراء سنوات قليلة قبل العبور العظيم، لأسألك عن الفترة التي رأست فيها دار (أخبار اليوم)، لأننا نعلم أنها كانت فترة صراع حادٍّ جدًّا، فقد اصطدمتَ فيها بالمجموعة المؤيدة للكاتب الكبير الراحل (مصطفى أمين)[٦١]، وكيف أصبح

([٦١]) مصطفى أمين (٢١ فبراير ١٩١٤ في القاهرة - ١٣ أبريل ١٩٩٧): صحفي مصري. يعد أحد أهم الكتاب والصحفيين المصريين. ولد مصطفى أمين وتوأمه علي أمين في في بيت الأمة في منزل خال والدتهم سعد زغلول.

(محمود أمين العالم) يرأس أخبار اليوم، و(مصطفى أمين) في السجن؟!

قابلني عبد الناصر، وقال لي: سوف ترأس أخبار اليوم.

فقلت له: أنا لا أملك خبرة بالعمل اليومي، والصحافة اليومية.

قال لي: ليس مهمًّا، ستتعلم هذه الخبرة، لكن لا تجعلها برافدا[٦٢].

قلت له: لا أعتقد..

«برافدا»... هي الصحافة السوفيتية

قلت له: لا أعتقد.. فهي جريدة حزبية بحتة، لكن رأستُ الجريدة فعلًا، وقمت بعقد اجتماع كامل لهم، وقلت لهم:

---

(٦٢) البرافدا: صحيفة روسية كانت من أكبر صحف العالم توزيعًا خلال الفترة السوفيتية. تأسست في عام ١٩١٢ في سانت بطرسبرج، وكان لينين أحد المساهمين المؤسسين لها. أصبحت البرافدا من أهم المصادر للتصريحات الرسمية للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفيتي سابقًا، وبعد سقوط الاتحاد السوفيتي عام ١٩٩١ صدر مرسوم رئاسي من الرئيس بوريس يلتسن آنذاك يقضي بإيقاف صدور البرافدا كصحيفة شيوعية من الحقبة السوفيتية الماضية، غير أن بعض العاملين القدماء فيها أعادوا أصدارها بنفس الاسم ولكن بصيغة مختلفة عما كانت عليه. تعتبر البرافدا اليوم صحيفة روسية شعبية الطراز والاهتمام.

أولًا لابد أن تدركوا -وأنا كما تعرفون- أن لوني الحقيقي هو لون تراب مصر.

ما أجملها من كلمة!

نعم؛ وسنتعامل مع بعضنا كزملاء.

أي انسوا الانتماءات السياسية، و أني شيوعي، أو ماركسي، أو اشتراكي ...إلخ، إنما أنا لوني لون تراب مصر.

بالفعل هذا ما أردت أن أقوله، وبدأتِ اجتماعاتُنا، وجمعت -أيضًا- كلَّ رؤساء التحرير، وقلت لهم: إن وجهة نظري في المسألة أن نعمل جميعًا للارتفاع باحتياجات مصر الثقافية، والإعلامية، والفكرية، ودفع الأمور التنموية إلى الأمام، والموقف من كل التحديات المحيطة به.

ورفعت العديد من الشباب الذين كانوا في قاعدة الجريدة إلى مسؤوليات معينة مثل (عادل حسين) الذي أصبح (صاحب ديسك).

كما منحت علاوة قدرها خمسون جنيهًا لـ(أنيس منصور)[٦٣]، وكان هذا مبلغًا كبيرًا جدًّا، الوحيد الذي رفضت أو ناقشت بعض كلماته، كان يَسُبُّ اليهود، وهذه ظاهرة غريبة، فكنت أكلّمه: يا أنيس، إننا لسنا ضد اليهود، نحن ضد الصهاينة، ومع ذلك كنت أذهب في التاسعة صباحًا، وأرجع في الساعة الرابعة أو الخامسة كي أقرأ عناوين الصحيفة.

أكان هذا سنة ٦٨ ؟

كان أواخر سنة ٦٧، أو أوائل سنة ٦٨.

([٦٣]) **أنيس محمد منصور**: كاتب صحفي، فيلسوف وأديب نابغ مصري مخضرم، ولد في ١٨ أغسطس ١٩٢٤.

* رئيس تحرير العديد من المجلات منها: الجيل، هي، آخر ساعة، أكتوبر، العروة الوثقى، مايو، كاريكاتير، الكاتب.

* عمل مدرسًا للفلسفة الحديثة بكلية الآداب، جامعة عين شمس من عام ١٩٥٤ حتى عام ١٩٦٣، وعاد للتدريس مرة أخرى عام ١٩٧٥.

* الآن يكتب في جريدة الأهرام المقال اليومي الأكثر قراءة: مواقف، ويكتب أيضًا في جريدة الشرق الأوسط مقال يومي معنون.

نعلم أنك -أثناء رئاستك لأخبار اليوم- كنت تمنح ثلث مرتبك لصغار العاملين.

كنت أَمنَحُهُ لأيِّ عمل جَيِّد، للصغير أو للكبير، وفي أي قسم كان، في الإعلانات، أو في الكتابة، أو في التوزيع، وفي أي شيء، وكان هناك لجنة مُشكَّلة -وأنا لست واحدًا منها- تختار أفضل عمل شخصي يستحق هذا المبلغ.

هل كان هذا العمل بصفة ثابتة، شهريًا مثلًا.

نعم؛ كان عملًا شهريًا دائمًا.

إذن فلماذا حدث هذا الشقاق، وهذا الخلاف، وهذا الرفض؟

في الواقع كان رجال (مصطفى أمين) باقين -مع احترامي لمصطفى أمين الصحفي الكبير- ولكنَّ اختلاف وجهات النظر جعلت هذه المجموعة تعرقلني.

فلماذا كنت أذهب في تمام الساعة الواحدة؛ لكي أطمئن أن الجريدة ركبت قطار الصعيد ليُوَزَّع هناك، فلو تأخرتُ دقيقة واحدة لسافر القطار وتركها.

كنت تذهب في الواحدة ليلًا.

في الواحدة، أو في الثانية عشرة، أي في موعد تحرك القطار، وأظلُّ منتظرًا حتى يقال لي: «إن القطار قد تحرك».

وأحيانًا كان يقف القطار في المحطة مدة قصيرة جدًّا، ولا أستطيع اللحاق به، فكنت أظل واقفًا في انتظاره، فتصوّر أن رئيس مجلس إدارة يقف طوال الوقت حتى يدرك القطار.

والشيء الثاني أنه كانت هناك مشاكلُ كثيرة، فبعد ثلاثة أشهر فقط من وجودي في أخبار اليوم أبلغني وزير الاقتصاد فجاءة أن أخبار اليوم مَدِينَةٌ بثلاث مائة ألف جنيه ضرائبَ، وديونًا، ولابد أن تُسدَّدَ فورًا، ولم أكتشف مثل هذه المسائل إلا في الوقت الذي سافرت فيه إلى ألمانيا لكي أُحضِرَ آلاتٍ جديدةٍ للطباعة، وأُغَيِّرَ صفحاتٍ كثيرة جدًّا.

الشيء الآخر الذي نسيت أن أذكرَه لوزير الاقتصاد أنه كان هناك دعم من وزير الاقتصاد لأخبار اليوم لأننا كنا نصدر مجلة اسمها «آخر ساعة» وملحق بها كتاب، وبذلك يكون هناك وزن كبير جدًّا، ولكي أرسله للجنوب كان لابد من هذا الدعم، فألغى الوزير هذا الدعم وأنا في ألمانيا، هذا بجانب تمرّدات بعض الصحفيين.

هل كان ذلك ولاءً منهم لمصطفى أمين؟

بالطبع.

إذن أنت تضعُه في خانة الولاء.

هذا إثبات لفشلي على الأقل، رغم أنني عملت عملًا كبيرًا.

أتعتز بالفترة التي قضيتَها رئيسًا لأخبار اليوم؟

أعتقد ذلك، وأنا أريد أن أقول شيئًا لمصطفى أمين: عندما علمتُ أن الأستاذ حسنين هيكل قد فصل زوجة مصطفى أمين من الجريدة -وأنا لم أكن أعرف هذا الأمر-، وهي الوحيدة التي كانت

تجيد اللغة الفرنسية، وكان يأتي إليَّ صحفيُّون إنجليز وفرنسيون، وكنت أتعامل معهم بشكل أو بآخر، فقررت إعادتها إلى أخبار اليوم بدون أيَّة حساسية، وذلك لكفاءتها العالية، وثبت بالفعل أنها على درجة عالية من الكفاءة، فكل الوفود الفرنسية التي كانت تأتي وحتى الإنجليزية كانت تُحسِنُ لقاءهم، وأنا -أيضًا- موجود وأتحدث معهم، لكني مطمئن لوجود صحفية متميزة مثلها معي.

وكانت زوجة الراحل مصطفى أمين.

قيل لي هذا، ولكنِّي لم أكن أعرف.

أنت لم تتثبت من الخبر لتتأكد من وجود أي صلة بينهم.

أنا لم أهتمَّ إطلاقًا بهذه الصلة، بمجرد معرفتي بكفاءتها أعدتها إلى العمل، وهذا ما أثار عبد الناصر جدًّا.

الشيء الآخر أن (حسنين هيكل) صديقي العزيز، وأعتبره قيمة كبيرة في صحافتنا، وفي فكرنا، وفي تحليلنا السياسي أيضًا، وقد فَصَلَ عددًا كبيرًا من الصحفيين يَقرُب من ثلاثة وعشرين عاملًا من الجريدة.

أكان حسنين هيكل صديقك؟

نعم، وعندما قابلت الرئيس جمال عبد الناصر قال لي إن حسنين هيكل رئيس تحرير الأخبار، ورئيس تحرير الأهرام، ولم يعد قادرًا على الاستمرار في المهمتين فأرجوك أن تأخذ مكانه، فذهبت مكانه، و(كمال زويلي) كان داخلًا في معركة انتخابات نقابة الصحفيين، فقال لي: أرجوك أن تعيد المفصولين من العمل، فأعدتهم، وأفاد من وجودهم كثيرًا، وهذا -أيضًا- أغضب الرئيس.

الرئيس الراحل جمال عبد الناصر.

نعم، وأشياء أخرى كثيرة من هذا النوع، وهناك -أيضًا- مواقف مُضحِكة، كان الوزراء يتصلون بي باستمرار، وذات مرة نادى علي وأنا في مجلس التحرير وقال لي: يا أستاذ محمود، ما هذا الأمر؟

- قلت له: ماذا؟
- قال لي: الجريدة.

- قلت له: ماذا بها؟ أراها عظيمة.
- قال: انظر في الصفحة الخامسة.
- فنظرت فيها، ثم قلت له: ليس بها أيَّ شيء.
- قال لي: أرجوك انظر فيها جيدًا.
- فعاودت النظر إليها مدققًا.
- فقال لي : انظر إلى الصورة.
- فوجدت صورته وبجوارها صورة شخص آخر، وصورته أصغر من الصورة الأخرى.
- قلت له: يا أستاذي العزيز، هذه ليست مشكلة.
- قال: لا، هذا شيء له دلالته.
- قلت له: ليس فيه أي شيء، أو دلالة.

وهناك -أيضًا- تفاصيلُ غريبة عن اتصالات الكبار، فوزير الاقتصاد أوقف معونة الجريدة، ومعونة السودان، وطالبني بالضرائب، في أثناء هذا كان هناك ترشيح المجلس للجنة المركزية.

وأصبحتَ عضوًا باللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي.

(●) نعم، لكنَّ رَجُل مصطفى أمين -الذي كان مرشحًا ضدي في انتخابات اللجنة المركزية- كان يُعاديني فعلًا، وهو الذي كان يعرقل خروج الأعداد إلى القطار في الوقت المناسب.

ومع ذلك نجحت بتفوق شديد، وكان العمال يقفون في الطابور ويومِئون إليَّ بالصبر.

أي أنهم سينجزون مهمتهم مهما حال بينهم الآخرون، ولذلك كنت أخًا لهم أحل مشاكلهم، وأتحاور معهم، وقدمت تقريرًا -قبل أن أُفصَل بيومين أو ثلاثة- لعبد الناصر عن هؤلاء العمال، إلى ان فوجئت بالسادات بعدها بيومين أو ثلاثة يقول لي: «لقد تلقيت منك شكاوى كثيرة؛ سواء من عمال المطبعة أو من الموظفينوخاصة مدير الإدارة؛ لذلك أرى أن تجلس في المنزل وتترك هذا العمل».

من الذي تولى رئاسة أخبار اليوم من بعدك؟

(●) تصور.. أنا لا أذكر!

شيء غريب جدًّا، هذه المرحلة تعطلت عنها الذاكرة تمامًا، وفي صباح يوم فوجئت بمقالة كبيرة للأستاذ (حسنين هيكل) -مع

احترامي وتقديري له، فقد كان جزءًا من النظام في ذلك الوقت- يتكلم فيها عن موضوعين: أوَّلهما موضوع يتعلق بـ(علي صبري)[٦٤] أنه كان في الاتحاد السوفيتي، وقام بشراء أشياءَ كثيرة هي جهاز لابنته، أو ابنه -لا أذكر- الذي كان على وَشْك الزواج، وأنه استطاع أن يجلب معه هذه الأشياء، ويخرج بها من الجمارك دون دفع رسومها، وهذا لا يليق، فهو اتهام تقريبًا.

---

(٦٤) **علي صبري (١٩١٧ - ٣ أغسطس ١٩٩١)**: كان سياسي مصري وأحد قيادات الصف الثاني في مجلس قيادة الثورة المصرية وأحد مؤسسي المخابرات العامة المصرية ومديرًا لها منذ ١٩٥٦ حتى ١٣ مايو من سنة ١٩٥٧. تولى رئاسة الوزراء عام ١٩٦٤ فكان أول رئيس وزراء في تاريخ مصر يحقق بنجاح تنفيذ الخطة الخماسية الوحيدة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية نجحت بنسبة ٢٠ ٪ كما قال سامي شرف.

عين نائبًا لرئيس الجمهورية ورئيسًا للاتحاد الاشتراكي العربي من ١٩٦٥ حتى ١٩٦٧، وأصبح عضوًا في اللجنة التنفيذية العليا، ومساعدًا لرئيس الجمهورية لشؤون الدفاع الجوي، ومسئول الاتصال بين القوات المسلحة المصرية والقيادة السوفيتية في كل ما يخص التسليح والتدريب والخبراء، وعضو مجلس الدفاع الوطني الذي تشكل في نوفمبر ١٩٧٠ ويتعلق دوره ما يختص بقضيتي الحرب والسلام. توفي في ٣ أغسطس عام ١٩٩١ عن عمر ٧٣.

والموضوع الثاني عن (محمود أمين العالم).

والثاني عن (محمود أمين العالم) الذي كان رئيسًا لأخبار اليوم، ولكنَّها كانت فاشلةً في عهده، ولم تحقق الثمرة المرجُوَّة منها، إلى آخر هذه المسائل.

وقد أدركت السر في هذا، فالمشكلة ليست (محمود العالم)، ولا (علي صبري)، إن القضية كانت فيه بداية مشاكل بينه وبين الاتحاد السوفيتي في ذلك الوقت، أعتقد هذا، لأني كما قلت لك إن أخبار اليوم كانت واضحة من ناحية الأرقام، و(علي صبري) لأنه كان -في ذلك الوقت- ضابطَ الاتصال بيني وبين الاتحاد السوفيتي، فيبدو أن العنصر السياسي كان داخلًا في هذه المسألة، لأن حكاية الجمارك، والأشياء التي اشتراها كان من الممكن أن يسأل عنها بدون هذه الفضيحة العلنية.

والواقع أن بعد هذا اليوم قبعت في بيتي، وكان أمامي فرصة أن أكتب ثلاثة كتب، أو أربعة، ولكنْ لم يكن لديَّ وقت.

العمل بالمسرح

أكان كل هذا لأنك كنت عضوًا في الاتحاد الاشتراكي، واللجنة المركزية؟

نعم؛ ولأني كنت عضوًا أيضا في أمانة الطليعة، وكان لها مكانها المستقر في النيل، وهو مركز قيادة الثورة، وكان لي مكتبٌ هناك، فلم أَمَلَّها، فقيل لي: نرجوك أن تذهب لتتولى مسؤولياتك، ثم أُعِدْتُ إلى المسرح.

هيئة المسرح..

وكان هناك مشكلة مالية، فأنا راتبي في أخبار اليوم كان أكبر من راتب رئيس مجلس إدارة المسرح -وقتئذ-، فقيل لي إنه سوف يصدر قرار جمهوري برفع راتبي؛ ليقارب راتبي في أخبار اليوم، فرفضت ذلك رفضًا تامًّا، وقلت سآخذ مرتب المسرح كما هو في حدوده، واستمرّيت في المسرح فعلًا.

وفي فترة المسرح حدثت وفاة جمال عبد الناصر، وكنا نجتمع في أمانة الطليعة، وأصبحت الأيام صعبة مع السادات، فهناك

علاقة مع ليبيا، وهناك قرار منذ عهد عبد الناصر بتأجيل حرب الاستنزاف لفترة معينة، والفترة كادت تنتهي، ويجب أن تُجَدَّد، فالسادات كان يطالب بمدها فترة أطول، حتى نعمل في تغطية الجنوب، وحماية السد العالي، وأنا الذي تصديت لهذا، فقلت: بالعكس.. أرى أن نُنهيَ هذه المدة ولا نُجدِّدَها، ونعتبرُ أنفسنا في موقفٍ مواجهةٍ ضد إسرائيل، هذا ما سيساعدُنا في حماية الجنوب، والتعجيل بحل كل المشاكل المواجهة.

أي أنَّ صِدامًا سياسيًّا قد حدث بين السادات -رحمه الله- وبين مجموعتكم.

بالفعل بدأ صدامٌ بين هذه المجموعة والسادات، وحدث خلاف استراتيجي، وسياسي، وكان نتيجة لهذا الاعتقالات الواسعة لما يُسمَّى بمراكز القوى، وكنت منهم بالطبع، ودخلت السجن للمرة الثانية.

ودخلتَ أيَّ سجن في هذه المرة؟

(●) في هذه المرة دخلت سجن القلعة، ولكنِّي كنت أنتقل للتحقيق، واتُّهِمتُ بالخيانة العظمي، وفي الحقيقة أنا الذي كنت أَتَّهِمُ بدلًا من أن أُتَّهَمَ، فقد كان عندي خبرة سياسية.

أعتقدُ أنَّك ملكت هذه الخبرة من كثرة التحقيقات التي حدثت لك في حياتك، والسجون التي دخلتها.

(●) هذا صحيح فأنا صاحب موقف، ولست صاحب سلطة، وأنا رجل مُثقَّفٌ أساسًا حتى في كل هذه المسائل.

هذا أمر معروف، فمن مؤلفاتك الشهيرة "الإنسان موقف".

(●) هذا الكتاب أحبه جدًا، وعندما أردت أن أقرأه ثانية لم أجد منه نسخة واحدة عندي للأسف.

المهم أن ما حدث أني اتُّهمت بالخيانة العظمي، وأذكر في يوم من الأيام كنت جالسًا في القلعة، وحدثت ثورة في السودان، وتم شنق بعض العناصر والأفراد فترقبت أن يأتي علي الدور وأخذت



أفكّر في الكلمة التي سأقولها وأنا على حبل المشنقة.. وإذ بي أفاجأ بباب السجن يُفتح لي لأذهب إلى بيتي.

ومتى حدث هذا الكلام؟

بعد حوالي ثلاثة أشهر أو أربعة من التحقيقات.

هل قالوا لك: براءة.

لا، قالوا لي: تفضل ليس عليك شيء.. وذهبت إلى البيت، فجاءني مُحَقِّقٌ بعد يومين، وقال لي: لقد تَخلَّفتَ عن عملك كرئيس مجلس إدارة المسرح أربعة أشهر، فقلت له: لقد كنت عِندَكُم في السجن، قال لي: ليس هناك أوراقًا رسميةً تُثبتُ ذلك.

كان وزير الثقافة في ذلك الوقت (يوسف السباعي)، فأصدر أمرًا بإحالتي على المعاش، وذهب إلى السادات فوقَّع السادات بالموافقة، وعدت إلى بيتي، وجاءتني دعوة من جامعة (أكسفورد).

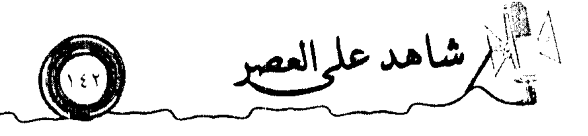
أ كانت هذه الدعوة للتدريس هناك؟

نعم؛ ولكنهم منعوني لمدة عام، لكني سافرت بعدذلك، ومكثت هناك سنة ونصف، واتصل بي (جاك برك) وهو صديق عزيز، ومستشار كبير في فرنسا.

بالطبع، أعرفه.

فقال لي: أنت أقرب إلى (الفرانكفورنيه)[٦٥] فتعالى لتُنفِّذَهَا، فعملت في جامعة باريس أستاذًا مساعدًا، ودَرَّستُ تاريخ الفكر العربي، والفقه الإسلامي، والفلسفة العربية الإسلامية

(٦٥) **الفرانكفونية**: تجمع دولي منظم، وهو ثاني أكبر تجمع في العالم بعد الجمعية العامة للأمم المتحدة. يضم «خمسًا وأربعين» دولة ناطقة كليًا أو جزئيًا باللغة الفرنسية حيث تشكل اللغة الفرنسية الرابط المؤسس لهذه المنظمة. وتفترش الدول الأعضاء فيها مساحات هامة من أربع قارات: أوروبا، آسيا، أفريقيا وأمريكا الشمالية.
تشكلت الفرانكفونية كمنظمة دولية في عام ١٩٦٠م وعقدت أول قمة لها في باريس عام ١٩٨٦م وبعدها توالى عقد دورات القمم الفرانكفونية مرة كل عامين في إحدى الدول الأعضاء، أكثر من نصفها دولٌ أفريقية، لعله الحنين للمستعمرات القديمة وكانت بيروت محطتها التاسعة.



المقارنة مع الفلسفة الغربية، وأصدرت مجلة اسمها "اليسار العربي"، وكان (الشاذلي) -في ذلك الوقت- في الجزائر.

أتقصد سعد الشاذلي؟

نعم؛ الفريق سعد الشاذلي[٦٦]، وبدأت اتصالات السادات بإسرائيل، فأقمنا جبهة عربية، وكان الشاذلي من قياداتها في مواجهة هذا الأمر، واستمر هذا النضال، وصدر قانون العيب، وقُدِّمتُ للمحاكمة، وحُوكِمتُ.

قدمت للمحاكمة مرة أخرى.

لكنها كانت غيابية، وحُكِمَ بحرماني من حقوقي السياسية، والمدنية، ووُضِعَتْ زوجتي سميرة، وابنتي شهرًا تحت الحراسة.

---

(٦٦) **الفريق سعد الدين الشاذلي (أبريل ١٩٢٢)**: رئيس أركان حرب القوات المسلحة المصرية في الفترة ما بين ١٦ مايو ١٩٧١ وحتى ١٣ ديسمبر ١٩٧٣، ولد بقرية شبراتنا مركز بسيون في محافظة الغربية في دلتا النيل. يوصف بأنه الرأس المدبر للهجوم المصري الناجح على خط الدفاع الإسرائيلي بارليف في حرب أكتوبر عام ١٩٧٣.

ثم مات السادات وأنا على حكم العيب، لكنِّي قررت أن أعود، وعدتُ بالفعل، وأستقلتُ من جامعة باريس رغم أن راتبي كان أكثر من راتب رئيس الجمهورية هناك، وشعرت -فعلًا- أني أمام واجب معين بعد عودتي إلى مصر، وهو أن أُنَمِّيَ الفكر النظري.

وسقط قانون العيب، وألغاه الرئيس مبارك.

ألغاه منذ عامين فقط، وسقط عني، وعن ابنتي، لأن ابنتي كانت طالبة في الجامعة أيام ما سُمِيَ بـ(إضراب الحرامية).

انتفاضة الحرامية.

نعم (انتفاضة الحرامية)، فقُدِّمَت للمحاكمة، وحُكِمَ لها بالبراءة، وأنها فعلًا لم تشارك، رغم أنها كانت مشاغبة طبعًا، ولكن ما حدث أنها سُجِنَت قرابة أربعة شهور مع زميلاتها في القلعة، ولكن عندما ذهب الحُكم إلى السادات وهو كان يعرفها، ويعرف زوجتي، وزوجته كانت صديقتي، وصديقة زوجتي، وكانت علاقة عائلية، ولكن أصر على إعادة المحاكمة، ومات في أثناء هذا،

واستمرت القضية مرفوعة إلى أن ألغى الرئيس مبارك قانون العيب.

وبعد خمسٍ سنواتٍ من وصولي من باريس انتهت قضية حرماني من حقوقي المدنية، لكِنْ بَقِيت قضية حقوقي السياسية قائمة إلى أن أُلغِيَتْ -أخيرًا- من سنتين، ومنذ عودتي وأنا أحاول أن أخدم وطني، وعروبتي، وإنسانيتي بمجلة يغلب عليها الطابع النظري، هي مجلة "القضايا الفكرية"، ومازلت منخرطًا في دفاعي عن الحق، والعدل، والحرية، والإبداع.

هذا شيء عظيم من المفكر الكبير الأستاذ محمود أمين العالم، ولذلك أنت دائما تقول: مصر مُلهِمَةٌ، ورمزٌ للتحدي، وتغيير العالم الثالث كُلِّه، ولابد أن تعود إلى وَضْعِها، فهي ليست بلدًا سياحيًّا فقط.

هذا صحيح، فمصر بلد مبدعٌ، وإنما قد اختلف مع من يقول: إن مصر هي القاعدة العربية، أو مصر هي القائدة العربية، لأني أريد أن تكونَ مصرُ النموذج العربي الأمثل.

الله، ما أجمل هذه الكلمات؟!

مصر النموذج الذي يُقَدِّم كلَّ مبدع، ويُمَتِّعُ الأمومة، ويقدم الطريق الصحيح للتقدم، والحرية، والإنتاج، والإبداع.

هذا على المستوى الوطني، والسياسي؛ أما على المستوى الفردي، أو الشخصي فأنت -أيضًا- تقول: أكاد أُبصِرُ سنواتِ حياتي، فهي مراحلٌ مختلفة متغيرة من التَّكوِين، والتَّكوُّن.

لأني أرى أنه لا يوجد إنسان يتكون نهائيا، أو مرة واحدة، ولكنَّه يتكوَّنُ دائمًا بعمله، وتجديده لنفسه، ونقده الدائم لنفسه، وتجاوزه -دائمًا- لكل لحظة من لحظات حياته إلى لحظة أرقى، وأعمق، وأكثر جدوى، وأكثر عطاءً.

بعد هذا المشوار الوطني، والسياسي المليء بالكفاح العظيم، ومشوار الحياة العظيم الذي أستمعنا إليه؛ ما هي الكلمات التي تَوَدُّ أن تُثبِتَهَا في ختام شهادتك على العصر؟

أقول: نحن في مرحلة تغيير خطيرة في عصرنا، وفي نقلة حضارية -في تقديري- فيها إيجابياتها الشديدة، وفيها سلبياتها



الخطيرة، إيجابياتها الشديدة أن العالم يتجه -بالفعل- إلى الاتحاد، فنحن نسير إلى حضارة واحدة أردنا أم لم نرد، ولكنَّ هذه الحضارة الواحدة -كما قلت- في بداية البداية، يسيطر عليها نمط الإنتاج، فأصبح متوحشًا في هذه المرحلة الحالية، يريد أن يستأثر بكل خيرات، وإنتاج، وإبداع العالم، بل يكاد يطمسُ الإبداعية العالمية للإنسان في كل مكان على تنوع هذا الإبداع، ويحتكرُه لذاته، ولمصلحته.

وأقول -أيضًا-: إن هناك الإيجابي وهو إمكانية تحقيق الوحدة، وهناك السلبي الذي يتمثل في محاولة احتكار العالم، وضمه لمصلحة قوًى معينة، ولكن هذا يدعو الإنسان، والإنسانية إلى الاستيقاظ والانتباه لهذا السلبي؛ للتصدى له بمحاولة إشاعة روح الديمقراطية، وروح التقدم، لا في كل بلد، ولكن على مستوى العالم.

هناك الآن إمكانية كبيرة أن تنشط، وتنمو كلُّ قوى الخير، والتنوير، والإبداع في كل بلد عربي، وفي كل بلدٍ في العالم؛ لتأكيد

ذاتيتها، وتنميتها النابعة من ذاتها لا المفروضة من الخارج، وذلك من أجل تحقيق هُوِيَّتِها، بهذا يتكون عالمٌ جديد، موحد ومتنوع، واحد ومختلف، له قوانينه العامة، لكن له قوانينه الخاصة، تتحقق فيه مشروعيةٌ عامةٌ لكل البشر، ومشروعيةٌ خاصةٌ لكل تجربة من التجارب.

هذه خصوبة رائعة، والطريق صعب -في تقديري الشخصي- بدون مغالاة، والأمة العربية قد تلعب دورًا تحريريًّا لا لذاتها، ولكن للعالم.

أنا دائمًا أتكلم عن لبنان وانتصاراتها، فقد كانت ثورة عظيمة، لكن لم يتحقق تغييرٌ كبيرٌ في العالم، أما عندما تنتصر الأمة العربية في توحيد ذاتها، وفي تنمية ذاتها -مع احترامي لخصوصيات بلادها المختلفة- ستلعب دورًا تحريريًّا عظيمًا للعالم أجمع؛ لأنها في ركن خطير بالنسبة للعالم، وفي موقع خطير من العالم، ستساهم في تحقيق سلام عالمي، وتحقيق توازن عالمي.

دورنا دورٌ حضاريٌّ كبيرٌ فعلًا في مستقبل الإنسانية في هذه المرحلة، ونحن لسنا فقط قادرين عليه بل هناك كل الـمُقوِّمَات، فعندنا كنوز من التاريخ، وكنوز من النساء والرجال،وكنوز من الأرض، وكنوز من الخبرة ، تستطيع أُمَّتُنا العربية -بالفعل- أن تحقق هذا الدور كما كان لها دور تاريخي إنساني من قبل.

وعلى مدار التاريخ..

على مدار التاريخ، فمصر ليست القائدة، ولا القاعدة فقط، وإنما هي نموذج تستطيع أن تكون قاطرةَ العمل من أجل هذا الفعل الحضاري التاريخي التي هي أهلٌ له تاريخيًّا، وموضوعيًّا.

بهذه الكلمات الرائعة نصل إلى ختام هذه الشهادة شديدة الثراء على العصر من الكاتب والمفكر المصري العربي الكبير الأستاذ محمود أمين العالم نشكره عليها شكرًا جزيلًا.

شكرًا جزيلًا.

الخاتمة

شهادة ثرية أدلى بها المفكر / محمود أمين العالم، عبر فيها عن وجهة نظره التفسيرية النقدية للعديد من الأحداث التي طرأت على الساحة المصرية في فترة هي من أهم الفترات في التاريخ المصري؛ هزيمة ٦٧ وفترة الاستنزاف ثم نصر أكتوبر المجيد ١٩٧٣.

تناول «العالم» أيضًا الأحداث التي مر بها من تحقيقات وسجن وتعذيب، كانت عليه من أصعب فترات حياته التي قضاها، وكيف كانت هذه الأوقات، تناول في غضون هذه الأزمات من قابلهم من مفكرين ومثقفين وسياسيين كان لهم بصمات في حياته لا تنسى مع مرور الزمن وتغير المكان.

وفي نهاية مطاف الحوار إذ به يقول كلمة الفصل في تلخيص رؤيته لكل هذه المتغيرات بعبارة هي درة التاج وحسن الختام ألا وهي: «أقول: نحن في مرحلة تغيير خطيرة في عصرنا، وفي نقلة حضارية -في تقديري- فيها إيجابياتها الشديدة، وفيها سلبياتها الخطيرة» ويؤكد على دور مصر وما تقوم به بعبارته التي اختتم بها اللقاء، إذ يفرض علينا

جمالها التكرار وهي: « فمصر ليست القائدة، ولا القاعدة فقط، وإنما هي نموذج تستطيع أن تكون قاطرةَ العمل من أجل هذا الفعل الحضاري التاريخي التي هي أهلٌ له تاريخيًّا، وموضوعيًّا.»

الفهرس